سِلْسِلَة حُقُوقٌ ضُيِّعَتْ

8

حَقِي أَن أَكُونَ مِنْ هَؤُلِاءِ

يَا نِسَآءَ المُسْلِمِينَ كُنَّ كَأُمِّ سُلَيم رضي الله عنها

للقاضي الشرعي الدكتور/

أيمن خميس حماد

1447هـ -2025م

الطبعة الأولى
1447هـ
2025م



حقوق الطبع محفوظة :
لفضيلة الشيخ الدكتور / أيمن خميس حماد
ولا يجوز نسخ أو تصوير أي جزء من الكتاب
إلا بموافقة خطية من المؤلف.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾.

سورة الروم: الآية 21.

الإهداء

إلى: روح الشهيد الشيخ أنس أيمن حماد "أبو أيمن".

أمي الحنونة وأبي الغالي.

زوجتيَ المخلصتين (أم أنس) و (أم أنيس).

أولادي مهجة قلبي:

(آيـــة وأنـــس وأفنـــان وأحـــلام وأمـــير وأنـــيس وأســـيل وأسمـــاء وأدهـــم وأمـــيرة وأيهـــم وآدم وألمـــا)

أشقائي وشقيقاتي الأعزاء:

(أبي المجد وأبي يزن وأبي محمد وأم يوسف وأم فارس)

كل مسلمة تسعى إلى رضوان الله من خلال طاعة زوجها.

كل مسلمة تسعى إلى بناء الدولة الإسلامية من خلال بناء أسرتها.

أهدي هذا الجهد

مُقَدِّمَة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وبعد:

اهتم الإسلام اهتمامًا عظيمًا بالأسرة ومكوناتها، لأنها اللبنة الأولى في بناء الدولة الإسلامية، فكلما كانت الأسرة متماسكة أوجدت مجتمعًا قويًّا، فوضع القرآن الكريم القواعد العامة لحسن العشرة بين الزوجين المكون الرئيس للأسرة المسلمة، وجاءت السنة النبوية المطهرة لتبسط هذه القواعد، وأفرد الفقه الإسلامي مساحة واسعة للأسرة التي سُميت حديثًا بأحكام "**الأحوال الشخصية**" وقد تحدثنا في كتاب **صور من هدي النبي** صلى الله عليه وآله وسلم **مع أزواجه** رضي الله عنهن عن **حقوق الزوجة**، وكانت عبارة عن صور من هدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع أزواجه رضي الله عنهن لتكون ترجمة عملية في حسن العشرة الزوجية، فبالحبيب المصطفى نقتدي، وبسنته نهتدي، وعلى نهجه نسير.

وحتى تكتمل الصورة كان لا بد من الحديث عن **حقوق النصف الثاني**، وشريك الحياة الزوجية، فكما للزوجة فعليها، وهو مصداق لقول مولانا عز وجل: ﴿... وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾(1).

وقد تمعنت في حديثٍ لأم سُليم رضي الله عنها فوجدته زاخرًا بهذه الحقوق، يُقدم نموذجًا رائعًا لحُسن تبعل الزوجة لزوجها، وحُسن إدارتها للأزمات في بيتها، فأردت أن أفرد الحديث عمّا ذكرت، لذلك وَسَمْت كتابي هذا باسم **يَا لَيمِينَ كُنَّ كَ م لِيم** رضي الله عنها، واخترت إحدى الصحابيات دون أمهات المؤمنين رضي الله عنهن حتى يكون أدعى للقبول عند النساء فأم سُليم رضي الله عنها وأبو طلحة رضي الله عنه لم يكونا من بيت النبوة وإن كانا على نهج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يكن زوج هذه المرأة نبيًّا بل كان رجلًا مشركًا أسلم على يديّ زوجته، وقد ضربت لنا أروع الأمثلة في حسن العشرة الزوجية.

---

1 – سورة البقرة: من الآية 228.

كنت قد بدأت جمعه في نهاية سنة **2020م**، ثم توقفت عن الكتابة حتى باغتتنا حرب طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر لسنة **2023م**، وقد توقفت معالم الحياة(1) بسبب حرب الإبادة الصهيونية على الشعب الفلسطيني البطل، فقدت خلالها الكثير والكثير إلا أنني استشعرت قول ربي ﷻ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ (2). وكان أعظم ابتلاء عندما اصطفى الله ولدي وفلذة كبدي ابني الشيخ الجليل صاحب العلم والعمل/ **أنس شهيدًا** في الرابع والعشرين من شهر مارس **2025م**(3)، فعلمت أن هذا المصاب يحتاج إلى الصبر لننال البشرى، فدفعني ذلك دفعًا لاستجماع قواي من جديد والشروع في استكمال هذا الكُتيب، حتى وفقني الله إلى إتمامه عند ولادة ابنتي "**ألما**".

والله أسأل أيضًا أن يكون هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يكون أجره في صحيفة حسناتي ووالديّ وأهل بيتي يوم القيامة وأخص منهم ولدي الشهيد **الشيخ أنس**.

وحرر في: 02 ربيع أول 1447هـ. وفق: 2025/08/25م.

كتبه أخوكم/القاضي الشرعي

الشَّيْخ الدُّكْتُور/أيمن خَمِيس حَمَّاد

---

1 – أصبح الشغل الشاغل لرب الأسرة الفلسطيني هو تأمين مأوى لأهل بيته –وهو في غالب الأحيان خيمة لا تقي حر الصيف ولا برد الشتاء–، أو كيف يأتي موعد الطعام وقد استطاع رب الأسرة أن يوفر كسرة خبز –وإن كانت يابسة– لأولاده، أما عن طهي الطعام فكانت هذه معاناة كاملة لانقطاع غاز الطهي وارتفاع أسعار الحطب، كل ذلك وأهل غزة يتمثلون قول مولاهم ﷻ في سورة البقرة: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾.

2 – سورة البقرة: الآية 155.

3 – سأفرد كُتيبًا خاصًا للحديث عن الشهيد ومناقبه إن شاء الله تعالى.

فهرس المحتويات

الإهداء.....4
مقدمة.....5
فهرس المحتويات.....7
بطلة القصة.....9
اسمها ولقبها وكنيتها رضي الله عنها.....9
إسلام أم سُليم رضي الله عنها.....10
أم سُليم رضي الله عنها تستقبل الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم.....14
أم سُليم رضي الله عنها تحدد مهرها للزواج.....15
أم سُليم رضي الله عنها والمولود الجديد.....23
عِوَض الله ﷻ لأم سُليم رضي الله عنها.....35
أم سُليم رضي الله عنها تؤسس البيت القدوة.....40
أم سُليم رضي الله عنها تتحمل الضرب من أجل بيتها.....42
أم سُليم رضي الله عنها يصل بها الأمر إلى الطلاق.....44
أم سُليم رضي الله عنها تصبر على ضيق حال زوجها.....47
أم سُليم رضي الله عنها وحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم.....50
أولًا: ابن أم سُليم رضي الله عنها خادمًا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.....50
ثانيًا: أم سُليم رضي الله عنها وعَرَق النبي صلى الله عليه وآله وسلم.....51
ثالثًا: أم سُليم رضي الله عنها وشَعر النبي صلى الله عليه وآله وسلم.....53
رابعًا: أم سُليم رضي الله عنها وأثر فَم النبي صلى الله عليه وآله وسلم.....54
خامسًا: أم سُليم رضي الله عنها وهداياها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم.....57
سادسًا: أم سُليم رضي الله عنها والمكان الذي صلَّى فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم.....60
سابعًا: أم سُليم رضي الله عنها مُزينة زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم:.....61
ثامنًا: أم سُليم رضي الله عنها تخطِب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.....63
أم سُليم رضي الله عنها وطلب العلم والعمل به.....65

اجتهاد أهل بيت أم سُليم ﵂ في العبادة..... 72
أم سُليم ﵂ وإكرام الضيف..... 74
أم سُليم ﵂ والإنفاق في سبيل الله..... 77
أم سُليم ﵂ والجهاد في سبيل الله..... 82
أولًا: أم سُليم ﵂ في التجهيز والإمداد..... 82
ثانيًا: أم سُليم ﵂ في الإسعاف الحربي..... 85
ثالثًا: أم سُليم ﵂ في العمل العسكري..... 87
رابعًا: أم سُليم ﵂ والتربية الأمنية..... 107
أم سُليم ﵂ والبشارة بالجنة..... 109
أم سُليم ﵂ في السُّنة المطهرة..... 110
خاتمة..... 119
فَهْرَسُ المَصَادِرِ والمَرَاجِعِ..... 122
السِّيرَةُ الذَّاتِيَّةُ..... 125

بطلة القصة

اسمها ولقبها وكنيتها رضي الله عنها

اسمها(1): سهلة (رميلة)، (رميثة)، (رملة)، (أُنيفة)، (أُنيسة)، (أُثينة) بنت مِلحان بن مالك بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غُنم بن عدي ابن النجار رضي الله عنها.

لقبها: الرميصاء.

كنيتها: أم سُليم، وبها اشتهرت.

---

1 – **انظر**، أبو نعيم/ معرفة الصحابة (3504/6)– أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ) **معرفة الصحابة** –تحقيق: عادل بن يوسف العزازي– الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض–الطبعة: الأولى 1419 هـ – 1998م، الذهبي/سير أعلام النبلاء (305/2) – شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى 748 هـ 1374م –**سير أعلام النبلاء**–أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط –مؤسسة الرسالة –الطبعة التاسعة 1413 هـ 1993 م مؤسسة الرسالة بيروت، ابن حجر/تهذيب التهذيب (419/12) –أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ) –**تهذيب التهذيب**–الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند –الطبعة: الطبعة الأولى، 1326هـ ، ابن الأثير/أسد الغابة (212/6) – أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: 630هـ) **أسد الغابة** –الناشر: دار الفكر – بيروت –عام النشر: 1409هـ – 1989م، ابن حجر/الإصابة في تمييز الصحابة (144/8)– أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ) **الإصابة في تمييز الصحابة** –تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض –الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت –الطبعة: الأولى–1415هـ، ابن عبد البر/الاستيعاب في معرفة الأصحاب (1940/4)– أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ) **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** –المحقق: علي محمد البجاوي –الناشر: دار الجيل، بيروت –الطبعة: الأولى، 1412هـ–1992م.

إسلام أم سُليم رضي الله عنها

بطلة القصة ممن سبق إلى الإسلام من الأنصار رضي الله عنهم، أسلمت لما سمعت بالإسلام من أول سفير فيه مصعب بن عمير رضي الله عنه، وعلمت أنه قد حان دورها لتكون داعية إلى الله ﷻ فقد انتقلت إليها أعباء الدعوة إلى دين الله، وعلمت أنه يجب عليها أن تحمل هَمَّ الدعوة إلى الله كما فعل مصعب رضي الله عنه، فالدعوة إلى الله واجب على كل مسلم كما قال مولانا ﷻ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾(1).

رجعت إلى بيتها وهي بوجه غير الذي خرجت به، علاه نور الإيمان، وانقشعت عنه ظُلمات الكفر، فعرف ذلك زوجها مالك بن النضر(2).

فقال: أصبوت؟.

هل تركت دين الآباء والأجداد؟.

هل تخليت عن دينك من أجل هذا الدين الجديد؟.

فقالت: ما صبوت، ولكني آمنت، **آمنت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد** صلى الله عليه وآله وسلم **نبيًّا ورسولًا**.

امتعض من كلامها، وأشاح بوجهه عنها، وتمتم ببعض الكلمات التي تدل على عدم رضاه لهذا التحول المفاجئ، لكنها لم تُلق لكلامه بالًا(3)، ولم تتوقف عن دعوته إلى الإسلام الذي مس شغاف قلبها، فقلب كيانها، وغير حياتها، شعرت مع الإسلام بالأمن

---

1 – سورة يوسف: الآية 108.

2 – مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار.

3 –كيف تطيع زوجها في معصية الله وهي تسمع حديث النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، قَالَ: (**السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ**) صحيح. أخرجه البخاري في صحيحه (63/9) ح(7144).

والأمان، شعرت بنفسها تحلق في السماء، بعد أن كان صدرها يضيق حرجًا كأنما يصّعد في السماء في كثير من الأحيان.

أحبت الخير لعائلتها، فجعلت تلقن أطفالها شهادة التوحيد، وبدأت بأنس فقالت له بلهفة ممزوجة بحب عظيم:

قل يا طفلي: أشهد أن لا إله إلا الله.

قل: أشهد أنّ محمدًا رسول الله.

ففعل.

نطق طفلها الصغير شهادة التوحيد، ففرحت بإسلامه فرحًا شديدًا، شعرت بسعادة تغمر قلبها، وطمأنينة تسري في جميع أوصالها؛ وكأنها حازت الدنيا بحذافيرها.

كان زوجها غاضبًا أن يغدو هذا البيت نموذجًا للبيت المسلم، وعبر عن ذلك مخاطبًا زوجته أم سُليم رضي الله عنها: **لا تفسدي عليَّ ابني.**

هي تعلم أن كل الفلاح والنجاح في الإسلام، وأن شقاء هذا الصبي سيكون في اتباع غير هذا الدين؛ لذلك لم يكن لها حسابات أخرى لتقوم بها على حساب دينها.

لقد كانت حريصة كل الحرص على أن تكتمل فرحتها بإسلام زوجها؛ لذلك لم تتوقف عن دعوته إلى الإسلام، حريصة كل الحرص أن تكون هي وأهل بيتها ممن قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ٢١﴾(1).

ولكنه كان عنيدًا باق على شركه، مُقدمًا لدين الآباء والأجداد، متبعًا لما تربى عليه من عادات وتقاليد بالية، وقد قال الله عز وجل فيه وفي أمثاله ممن يُعطلون عقولهم، ويُغلقون عيون قلوبهم عن رؤية الحق: ﴿بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ

1 – سورة الطور: الآية 21.

ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢٢﴾(1). وقال ﷻ في الآية التي تليها من نفس السورة: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾(2).

ورغم صده الشديد لها، إلا أنها كانت تبلغ أهل بيتها الأحكام الشرعية التي يأتي بها الإسلام.

ففي أحد الأيام:

قالت لزوجها: قد جئت اليوم بما تكره.

فقال: لا تزالين تجيئين بما أكره من عند هذا الأعرابي.

لم تقبل أن يُقال هذا الكلام عن رسول الله ﷺ في بيتها.

كيف تقبل وهي التي تعيش الإسلام وبالإسلام في كل ذرة من ذراتها؟.

كيف تقبل وهي التي هرولت مسرعة لاستقبال النبي ﷺ لما قدم المدينة، وكانت ممن انتظر قدومه ﷺ المدينة على أحر من الجمر؟.

أتسمح بعد ذلك أن ينال أحد من رسول الله ﷺ حتى لو كان أبا ولديها؟.

فدافعت عن حبيبها المصطفى ﷺ: كان أعرابيًّا، اصطفاه الله واختاره، وجعله نبيًّا.

أراد أن ينهي الحوار فقال بصوت غاضب: ما الذي جئت به؟.

قالت بحزم: حُرّمت الخمر(3).

---

1 – سورة الزخرف: الآية 22.

2 – سورة الزخرف: الآية 23.

3 – أرى أن ما يتعلق بتحريم الخمر كان متأخرًا، وإسلام أبي طلحة كان متقدمًا، ولعل المقصد من قولها: هو أنّ بداية دعوة النبي ﷺ كانت أمرًا بالفضائل ونهيًا عن الرذائل بشكل عام، كما جاء في حديث جعفر رضي الله عنه لما هاجر إلى الحبشة . **انظر**؛ مسند الإمام أحمد (354/2) ح(1740).

وكأنه كان ينتظر هذه اللحظة، فقد أيس أن يعيدها إلى دين الآباء والأجداد، فأطلق قراره الذي كان حبيس صدره، وهو التخلي عن هذه الأسرة المؤمنة، **فقال لها: هذا فراق بيني وبينك، وانطلق إلى الشام فلقيه عدو له فقتله فمات مشركًا.**

حزنت أم سُليم رضي الله عنها على هلاك زوجها حزنًا شديدًا، حزنت لفراق زوجها، وحزنت لأن والد طفليها أنس والبراء مات مشركًا.

كم كانت حريصة على أن يدخل في الإسلام؟.

كم بذلت من جهد من أجل ذلك؟.

ولكنه قدر الله، وعلمت أن الله لو أراد له الهداية لشرح صدره للإسلام، وكأن قول الله عز وجل حاضرًا أمامها: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦﴾(1).

1 – سورة القصص: الآية 56.

أم سُليم رضي الله عنها تستقبل الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم

وصل الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة مهاجرًا، فكانت أم سُليم رضي الله عنها ممن كان في طليعة الاستقبال، قرّت عينها برؤية نبيها ورسولها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، ودق قلبها فرحًا وطربًا بنجاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مشركي قريش.

جاء المهنئون من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالهدايا، كل واحد منهم يُعبر من خلال هديته عن حبه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

تلفتت أم سُليم رضي الله عنها في بيتها يمنة ويسرة علَّها تجد شيئًا نفيسًا تقدمه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم تجد شيئًا، وأنَّى لها أن تجد ما تقدمه، فهي أرملة تكدح على أيتامها، راجعت كل عزيز على قلبها فلم تجد أغلى من فلذة كبدها **أنس** ماثلًا أمامها(1).

ابتسم قلبها فرحًا أنها وجدت ما تقدمه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم؟.

ولعلك أخي القارئ تتساءل ماذا ستقدم؟.

نعم. ستقدم ولدها **أنس** فلذة كبدها هدية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

سيكون ابنها أنسًا **خادمًا** لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

يؤكد لنا ذلك سيدنا أَنَسٍ رضي الله عنه فيقول: (**قَدِمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم الْمَدِينَةَ وَأَنَا ابْنُ عَشْرٍ، وَمَاتَ وَأَنَا ابْنُ عِشْرِينَ، وَكُنَّ أُمَّهَاتِي يَحْثُثْنَنِي عَلَى خِدْمَتِهِ**)(2)؛ ولأنه تربى على الإسلام رغم قِصر المدة إلا أنه كان فخورًا بهذا القرب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم. ولك أن تتخيل حال كثير من نساء المسلمين وهي تمنع ولدها من أن يكون له أيّ عمل يساهم في رفعة بلده ووطنه.

---

1 – الحلبي/السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون (499/3).

2 – أخرجه مسلم في صحيحه (1603/3) ح(2029).

أم سُليم ﵂ تحدد مهرها للزواج

ترملت(1) تلك المليحة بعد موت زوجها، وعزمت على عدم الزواج **إلا بعد أن يجلس ابنها أنس في المجالس**؛ لتطمئن أنه لن يُظلم إذا تزوجت، وأنه يستطيع أن يقوم بشئونه الخاصة وحده.

تقدم لها رجل أوتي بسطة في المال والجسم **يُكنى بأبي طلحة زيد بن سهل**(2). فتقدم بالعرض في المرة الأولى، فذكرت له وعدها لابنها الصغير أنس ألّا تتزوج حتى يبلغ، ويجلس في المجالس، فيقول أنس ﵁: "**جزى الله أُمي عني خيرًا، لقد أحسنت ولايتي**"(3)، وأنها عازمة على الوفاء بهذا الوعد.

فلمّا جلس أنس ﵁ في المجالس، ووفت أمه بالوعد، خطب أبو طلحة أم سُليم ﵂ مرة أخرى، وذكرها بما اشترطته من بلوغ أنس ﵁، وأنه كان ينتظر ذلك بفارغ الصبر.

قبلت أم سُليم ﵂ فكرة الزواج في هذه الفترة، ولم تكن ترَ رجلًا كأبي طلحة فهو يتمتع بشخصية قوية، وصاحب مال، وليس أي مال. فهي تعلم -كما يعلم كل أهل المدينة- أنّ أبا طلحة ﵁ من أكثر الأنصار مالًا، وهذا لا يخفى على ابنها أنس ﵁ فهو الذي جاء لها بالخبر اليقين، حيث جاء عنه ﵁ أنه قال: "**كَانَ أَبُو طَلْحَةَ**

---

1 – في بعض المجتمعات يُحكم على الأرملة بأن تنسى موضوع الزاج مطلقًا، تحت أسباب واهية لا تمت للإسلام بصلة، ويُنظر لها نظرة سوداوية فهي قد أخذت نصيبها، وعليها أن تتفرغ لتربية أولادها، ولا يجوز لها أن تفكر بالزواج حتى لو كانت صغيرة في السن في مُقتبل العمر. **للمزيد** اقرأ: "حق الأرامل والمطلقات في الزواج" انظر؛ كتابي حقوق ضُيّعت ط2 ص(253).

2 – زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عمرو بن مالك بن عديّ بن عمرو بن مالك بن النّجار الأنصاريّ الخزرجيّ. **انظر**، ابن حجر/الإصابة في تمييز الصحابة (502/2).

3 – **انظر**، الجكني/كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري (151/4)-محمَّد الخَضِر ابن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي (المتوفى: 1354هـ)- **كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري** -الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت -الطبعة: الأولى، 1415هـ-1995م.

أَكْثَرَ الأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلٍ..."(1).

رجل فيه كل المواصفات التي تبحث عنها أيّ امرأة، فهو فارس أحلام كل أنثى، فما بالنا بامرأة أرملة قد حملت هَمّ تربية يتيمين مبكرًا، فقد جاء من يحمل عنها أعباء هذه المسئولية قليلًا، جاء من ينتشلها من الفقر والحاجة إلى حياة الاستقرار والأمان المعيشي.

كان من البداهة أن تقبل هذه الأرملة الزواج بهذا العريس مباشرة، فهذه فرصة ثمينة لا تُعَوّض.

لكن هناك ما منعها من ذلك.

هل تراه أبوها؟ أم أمها؟، أخوها؟ أم قبيلتها؟.

إنه الإسلام.

هو الذي منعها، فهي تعلم بأن المسلمة لا تحل لمشرك، رفضت العرض بكل ما فيه من مغريات. فهي لا تحلم (بموظف)، ولا من يملك (شقة)، ولا من امتلئ رصيده في البنك بـ(الدينار) و(الدولار).

كل هذه الأساسيات رغم احتياجها لها إلا أنها لا تمثل عندها شيئًا.

كيف تقبل بمشرك؟.

كيف تقبل بأمر نهى عنه الشرع؟.

أليست هي من يردد قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٢١﴾(2)؟.

---

1 – أخرجه البخاري في صحيحه (119/2) ح(1461).

2 – سورة البقرة: الآية 221.

أليست هي من أسست بنيان بيتها على تقوى من الله ورضوان مستذكرة قول مولاها ﷻ: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾(1)؟.

أليست هي من كانت تطعم أنس والبراء التوحيد كما تُطعمه اللقمة من الطعام؟.

فكيف تتخلى عن دينها، ومبادئها، وقيمها، من أجل راحة مؤقتة في الدنيا، وتترك النعيم الأبدي، والحياة الحقيقية وهي تتلو قوله ﷻ: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾(2)؟.

فحزمت أمرها وأعلنتها مدوية قائلةً لهذا الخاطب الذي لا يُعوض:

لا أقبل بك مشركًا يا أبا طلحة.

واستثمرت الموقف للدعوة إلى الله فقالت: يا أبا طلحة ألست تعلم أن آلهتك التي تعبد خشبة تنبت من الأرض، نجرها حبشي بني فلان، لو أشعلتم فيها نارًا لاحترقت(3)؟.

قال: بلى.

قالت: فلا تستحيي من ذلك. **أَسْلِم**(4).

وأصابت الصدمة أبا طلحة...

---

1 – سورة التوبة: الآية 109.

2 – سورة العنكبوت: الآية 64.

3 – وفي رواية: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: **(أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ، خَطَبَ أُمَّ سُلَيْمٍ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ إِلَهَكَ الَّذِي، تَعْبُدُ خَشَبَةٌ تَنْبُتُ مِنَ الْأَرْضِ، نَجَرَهَا حَبَشِيٌّ مِنْ بَنِي فُلَانٍ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَتْ: أَفَلَا تَسْتَحِي أَنْ تَعْبُدَ خَشَبَةً مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ نَجَرَهَا حَبَشِيُّ بَنِي فُلَانٍ؟ إِنْ أَنْتَ أَسْلَمْتَ لَمْ أُرِدْ مِنْكَ مِنَ الصَّدَاقِ غَيْرَهُ، قَالَ: حَتَّى أَنْظُرَ فِي أَمْرِي، فَذَهَبَ، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، قَالَتْ: يَا أَنَسُ زَوِّجْ أَبَا طَلْحَةَ)** ". معرفة الصحابة لأبي نعيم (3504/6) ح(7937).

4 – أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (407/4) ح(17946).

لم يكن يتوقع الخاطب هذا الرد من أم سُليم رضي الله عنها الذي يرى في نفسه أنه لا يُرد، –والواقع يؤكد ذلك–، والعروس أكدت ذلك في بداية حوارها معه بقولها: "**والله ما مثلك يا أبا طلحة يُرَد**".

فكانت الدهشة بادية على ملامحه، واغتنمت هي الفرصة لتعرض عليه عرضها فقالت بكل حزم: "**إن تُسلم فذلك مهري، ولا أريد مهرًا سواه**".

استغرب العرض وظنها لا تعرف ما تقول، وذكّرها بأن النساء لا يطلبن مثل هذه الطلبات، وليس هذا من عاداتهن، ولا رغبتهن، وأن المال المتمثل في الذهب والفضة هو مفتاح لأقفال قلوبهن قبل عقولهن، فقال لها: **وما ذاك دهرك**.

قالت: وما دهري؟.

قال: الصفراء والبيضاء(1).

قالت: فإني لا أريد صفراء ولا بيضاء أريد منك الإسلام.

الإسلام، والإسلام فقط، هذا ما كانت تريده تلك المرأة العاقلة الرشيدة؛ لأنها تعلم أنه إذا أسلم جاء كل خير مع إسلامه(2). تعلم أن الأموال والذهب والفضة ستأتي.

تعلم أنه إذا أسلم فأحبها سيكرمها أيّما كرم، وإذا كرهها لم يظلمها.

تعلم أن الإسلام سيجعله ينفق عليها ولا يبخل، ستأكل مما يأكل.

تعلم أن الإسلام لن يقبل أن يكتسي هو ولا يَكْسُوها.

تعلم أن الإسلام سيمنعه من استعمال العنف معها.

تعلم أنه سيكون نعم السكن لها، وستكون المحبة هي اللغة السائدة، والمودة في بيته ستكون مستقرة، والرحمة ترفرف بجناحيها عليهم.

---

1 – الذهب والفضة.

2 – **للمزيد** من حُسن عشرة الزوج للزوجة في الإسلام، الاطلاع على كتابي صور من هدي النبي صلى الله عليه وسلم مع أزواجه رضي الله عنهن.

كيف لا تعلم ذلك وهي تتلو قوله ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾(1)؟.

أمام هذه الحقيقة الساطعة التي بيّنتها أم سُليم للخاطب أنه يعبد خشبة، شرح الله صدر أبا طلحة لكلامها، وراجع حساباته مع نفسه.

انصرف أبو طلحة من عند هذه المرأة التي وجد نفسه أمام نموذجًا جديدًا، أمام امرأة ليست ككثير من النساء، امرأة قلبت له كل كيانه، فهي لا شك فريدة من نوعها.

لا أدري سببًا لحيرته ودهشته، هل كان جمال عينيها له أثر في سحره؟.

أم كان لاستغنائها بالإسلام عن الذهب والفضة؟.

أم لقوة حجتها في بيان بطلان دينه؟.

أم هو القبول الذي جعله الله للمؤمن إذا أحبه، كما في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ)**(2)؟.

كتب الله الهداية لأبي طلحة فشرح الله صدره للإسلام كما قال مولانا ﷻ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾(3).

---

1 – سورة الروم: الآية 21.

2 – أخرجه البخاري في صحيحه (111/4) ح(3209).

3 – سورة الأنعام: الآية 125.

رجع أبو طلحة إلى مخطوبته التي تعلق قلبه وعقله بها، ليُعلن لها أنه قد رضي الإسلام دينًا، ووصل إلى بيتها وأخبرها أنه يريد أن يُسلم وينطق شهادة التوحيد، ففرحت فرحًا شديدًا، كيف لا تفرح وهي التي تعلم أن حبيبها ﷺ قد أقسم أن من كان سببًا في هداية إنسان واحد خير من أَنْفَس الأموال كما في الحديث عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه أنه سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ لعلي رضي الله عنه يَوْمَ خَيْبَرَ: (... **فَوَاللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**)(1). وفي رواية خير مما طلعت عليه الشمس لوصية النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه: (... **يَا عَلِيُّ، لِأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ**) (2). علمت أن الله عوضها زوجًا رضي بالإسلام – بدلًا من زوجٍ هجرها وترك البلاد من أجل دين الآباء والأجداد–.

عوّضها الله خيرًا مما فقدت؛ لأنها تعلم أن المصيبة التي يسترجع المسلم عند حلولها به، ويُسلم أمره لربه، ستأتي النتائج حتمًا لصالحه، وها هو حديث رسول الله ﷺ حاضرًا في مثل هذا الموطن كما جاء عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: (**مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ:** ﴿...**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ** ﴿١٥٦﴾﴾(3)، **اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا**، قَالَتْ: **فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ اللهِ ﷺ،** ...)(4).

---

1 – أخرجه البخاري في صحيحه (47/4) ح(2942).

2 – أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (690/3) ح(6537).

3 – سورة البقرة: من الآية 156.

4 – أخرجه مسلم في صحيحه (631/2) ح(918).

استجمعت أم سُليم رضي الله عنها ما بقي لها من صوت بعد أن حبسته الفرحة، فنادت على ولدها أنس رضي الله عنه: يا أنس – فجاء أنس مسرعًا لتلبية نداء أمه –، فقالت: اذهب بعمك أبي طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

انطلق أنس رضي الله عنه ذلك الابن البار منفذًا أمر أمه: **(فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ يُرِيدُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ فَلَمَّا رَآهُ قَالَ: جَاءَكُمْ أَبُو طَلْحَةَ غُرَّةُ الإِسْلاَمِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ. فَجَاءَ فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم بِمَا قَالَتْ أم سُليم فَتَزَوَّجَهَا عَلَى ذَلِكَ. قَالَ ثَابِتٌ: فَمَا بَلَغَنَا أَنَّ مَهْرًا كَانَ أَعْظَمَ مِنْهُ أَنَّهَا رَضِيَتْ بِالإِسْلاَمِ مَهْرًا فَتَزَوَّجَهَا)**(1).

كيف لا يطير أبو طلحة فرحًا بامرأة اختارت الإسلام مهرًا، وهو الذي يعلم الفرق الشاسع بين المرأة المسلمة التي ترجمت الإسلام في حياتها وبين بائعات أنفسهن للهوى والشيطان.

كيف لا يُقبل على أم سُليم بكل جوارحه وهو يقرأ قول ربه ﷻ مادحًا المؤمنات الصالحات بقوله ﷻ: ﴿...فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ... ﴿٣٤﴾﴾(2). يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله في الظلال: "فمن طبيعة المؤمنة الصالحة، ومن صفتها الملازمة لها، بحكم إيمانها وصلاحها، أن تكون قانتة مطيعة. **والقنوت**: الطاعة عن إرادة وتوجه ورغبة ومحبة، لا عن قسر وإرغام وتفلت! ومن ثم قال: قانتات. ولم يقل طائعات. لأن مدلول اللفظ الأول نفسي، وظلاله رخية ندية. وهذا هو الذي يليق بالسكن والمودة والستر والصيانة بين شطري النفس الواحدة. في المحضن الذي يرعى الناشئة، ويطبعهم بجوه وأنفاسه وظلاله وإيقاعاته! ومن طبيعة المؤمنة الصالحة، ومن صفتها الملازمة لها، بحكم إيمانها وصلاحها كذلك، أن تكون حافظة لحرمة الرباط المقدس بينها وبين زوجها في غيبته– وبالأولى في حضوره– فلا

---

1 – أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (65/4) ح(7381).

2 – سورة النساء: من الآية 34.

تبيح من نفسها في نظرة أو نبرة ما لا يباح إلا له هو بحكم أنه الشطر الآخر للنفس الواحدة.

وما لا يباح، لا تقرره هي، ولا يقرره هو: إنما يقرره الله سبحانه: (بِما حَفِظَ اللَّهُ). فليس الأمر أمر رضاء الزوج عن أن تبيح زوجته من نفسها- في غيبته أو في حضوره- ما لا يغضب هو له. أو ما يمليه عليه وعليها المجتمع! إذا انحرف المجتمع عن منهج الله..

إن هنالك حكمًا واحدًا في حدود هذا الحفظ فعليها أن تحفظ نفسها (بِما حَفِظَ اللَّهُ). والتعبير القرآني لا يقول هذا بصيغة الأمر؛ بل بما هو أعمق وأشد توكيدًا من الأمر. إنه يقول: إن هذا الحفظ بما حفظ الله، هو من طبيعة الصالحات، ومن مقتضى صلاحهن!"(1).

بعد أن انطلقت أم سُليم رضي الله عنها في حياتها الزوجية مع زوجها الجديد زيد(2)، فهل توقفت عن خدمة الإسلام؟، وعن طلب العلم؟، وعن التضحية من أجل هذا الدين كما تفعل الكثيرات؟.

فهل ترى أنها إذا تزوجت تفرغت للمطبخ وغرفة النوم فقط؟.

هل ستتفرغ للإنجاب، وسيشغلها أولادها عن دينها؟.

أم أنها كان لها رأي آخر؟.

لنتابع القراءة معًا ونرى موقف هذه المرأة.

وأنا على يقين أن نموذجًا رائعًا هو الذي سيكون بين أيدينا.

---

1 - قطب/ في ظلال القرآن (652/2).

2 - وهو أبو طلحة رضي الله عنه.

أم سُليم رضي الله عنها والمولود الجديد(1)

تمضي السنون بأم سُليم رضي الله عنها وتنجب من زوجها الجديد مولودًا صبيح الوجه أسموه(2). **حفصًا**(3)، ليكون شبلًا من أشبال الإسلام، وكنّته **أبا عمير** تفاؤلًا بأن يعيش طويلًا ويُولد له كما كانت عادات العرب(4)، وحتى لا يُطلق عليه أحد من الناس لقبًا يكرهه؛ تجنبًا من الوقوع في نهي الله عن هذا العمل كما قال مولانا عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ ﴾(5).

كان للمولود الجديد أثر بالغ في حياة الزوجين فقد زادت أواصر المحبة والمودة، وقد أحب أبو طلحة رضي الله عنه هذا الصغير حبًّا شديدًا وتعلق به، فما إن يدخل باب بيته حتى يُسارع بالسؤال عنه، ليمتّع ناظريه بمحياه وهو صاحب الوجه الجميل المشرق.

لقد كان للصبي الصغير حظوة عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقد كان يمازحه ويلاطفه، ويسأله عن بلبل له يلعب به كما في الحديث عن أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه، يَقُولُ: **(إِنْ كَانَ النَّبِيُّ**

---

1 – أحداث القصة مستقاة من الأحاديث في نهاية الكتاب: أم سُليم رضي الله عنها والسنة المطهرة.

2 – **انظر**، ابن حجر/ فتح الباري (586/10)، السخاوي/الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر (3/ 1168).

3 – قال ابن منظور لسان العرب (16/7): "قال الأَزهري: ولَدُ الأَسد يُسمَّى **حَفْصًا**، وقال ابن الأَعرابي: هو السبعُ أَيضًا، وقال ابن بري قال صاحب العين: الأَسدُ يُكَنَّى أَبا حَفْصٍ ويُسمَّى شِبْلُه حَفْصًا".

4 – قال ابن حجر رحمه الله في فتح الباري (582/10): " كَانُوا يُكَنُّونَ الصَّبِيَّ تَفَاؤُلًا بِأَنَّهُ سَيَعِيشُ حَتَّى يُولَدَ لَهُ، وَلِلْأَمْنِ مِنَ التَّلْقِيبِ؛ لِأَنَّ الْغَالِبَ أَنَّ مَنْ يذكر شَخْصًا فَيُعَظِّمُهُ أَنْ لَا يَذْكُرَهُ بِاسْمِهِ الْخَاصِّ بِهِ فَإِذَا كَانَتْ لَهُ كُنْيَةٌ أَمِنَ مِنْ تَلْقِيبِهِ وَلِهَذَا قَالَ قَائِلُهُمْ: بَادِرُوا أَبْنَاءَكُمْ بِالْكُنَى قَبْلَ أَنْ تَغْلِبَ عَلَيْهَا الْأَلْقَابُ".

5 – سورة الحجرات: الآية5.

ﷺ **لَيُخَالِطُنَا**(1)، **حَتَّى يَقُولَ لِأَخٍ لِي**(2) **صَغِيرٍ: يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ**(3)(4).

بل إن النبي ﷺ كان يعلم وقت حزن هذا الصبي الصغير الذي تجاوز الفطام(5) قليلًا، وكان يلاطفه مواسيًّا له على موت طيره كما جاء عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: **(كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُ عَلَيْنَا وَلِي أَخٌ صَغِيرٌ يُكْنَى أَبَا عُمَيْرٍ وَكَانَ لَهُ نُغَرٌ يَلْعَبُ بِهِ فَمَاتَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَرَآهُ حَزِينًا فَقَالَ مَا شَأْنُهُ. قَالُوا مَاتَ نُغَرُهُ فَقَالَ: يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ)**(6).

كانت تتمنى أم سُليم أن يعيش هذا الطفل ليكون مُعمّرًا، ويغدو فارسًا من فرسان الإسلام كأبيه وأخوته وأخواله، ولكنها أقدار الله تعالى، فقد كنَّت ابنها حفص بأبي عُمير، فهذا الطفل الصغير الذي أدخل الفرحة والسعادة على هذا البيت المبارك، ما إن بدأ يخطو خطواته الأولى حتى زاد تعلق أبيه به.

إن الدنيا لا تستقر على حال، فما هي إلا أيامًا معدودة حتى يُصاب أبو عمير بمرض يقلب كيان والديه وكل من في المنزل قلقًا وخوفًا على صحته، تحاول أمه بكل لهفة وخوف أن تُطَبِّبَه، تحاول بكل خبرة لديها أن تزيل ألمه الذي ألمّ به، تقرأ عليه الرقية التي تعلمتها من النبي ﷺ: **(اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، مُذْهِبَ البَاسِ**(7)**، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لاَ شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا)**(8).

---

1 – **ليخالطنا**: يلاطفنا بطلاقة الوجه والمزح.

2 – **لأخ لي**: هو أخوه من أمه أم سليم ابن أبي طلحة رضي الله عن الجميع.

3 – **النغير**: مصغر نغر وهو طير كالعصفور محمر المنقار يسميه أهل المدينة البلبل

4 – أخرجه البخاري في صحيحه (31/8) ح(6129).

5 –صحيح مسلم (1692/3) ح(2150).

6 – **صحيح**. أخرجه أبو داود في سننه (4/ 448) ح(4971).

7 – **الباس**: الشدة من ألم المرض ونحوه.

8 – أخرجه البخاري في صحيحه (132/7) ح(5742).

يعود أبوه من عمله فيجد الحزن مخيّمًا على البيت، فلم تعد ضحكات ذلك الصبي تملأ أرجاء المنزل.

لم تعد ضحكات أخوته تهز المنزل عندما يسقط حفص أرضًا وهو يدرج خطواته الأولى على أرضية البيت.

لكنّ قدر الله نافذ.

مات الصبي الصغير الذي طالما ملأت ضحكاته أرجاء بيت أبي طلحة وأم سُليم رضي الله عنهما وهو يلعب بعصفوره.

مات الصبي الذي كان يُسارع أبوه الخطى للعودة إلى المنزل ليطبع على خده قبلة حب ورحمة كما كان يشاهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم يفعل مع أحفاده رضي الله عنهم روى ذلك أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: (**قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم ثُمَّ قَالَ: مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ**)(1).

مات الصغير بعد أن خرج أبوه إلى عمله، لفظ فلذة كبدها أنفاسه الأخيرة، وسكنت حركته.

مات وهي تحمله بين يديها.

مات صغيرها وهو ينظر إليها مودعًا، وهي تذرف الدموع على فراقه، وودّت لو منحته عُمرًا من عمرها، لكنها تعلم أنها آجال متى حانت فلا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون.

وكأنها تقتدي برسولها الكريم صلى الله عليه وآله وسلم حتى في أحلك المواقف، وكأن دموع النبي صلى الله عليه وآله وسلم على موت ولده إبراهيم عليه السلام حاضرة فألهمتها الصبر والسلوان على أقدار الله كما في الحديث عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: (**دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم عَلَى أَبِي سَيْفٍ القَيْنِ، وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام**(2)، **فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم إِبْرَاهِيمَ، فَقَبَّلَهُ،**

---

1 – أخرجه البخاري في صحيحه (7/8) ح(5997).

2 – **ظئرًا**: زوج مرضعته وهي خولة بنت المنذر الأنصارية النجارية.

وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَذْرِفَانِ(1)، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه: وَأَنْتَ(2) يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ ﷺ: إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ)(3).

فما صرخت؛ ولا ناحت وولولت.

بل صبرت وحمدت واسترجعت فهي التي تتلو كتاب ربها ﷻ وتقرأ فيه: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾(4).

أتضيع بيتًا في الجنة جعله الله أجرًا لمن ابتلي بموت ابنه وصبر، فلا تجني من ذلك شيئًا وهي تعلم بالحديث عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قَالَ اللَّهُ لِمَلاَئِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ)(5).

أتسخط على الله وهي التي تعلم أن الله إذا أحب عبدًا ابتلاه؟، وأيّ بلاء أعظم مِن فَقْدِ ابنها قُرة عينها، تستذكر حديثًا رواه ابنها أنس بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قَالَ: (إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ)(6).

---

1 – تذرفان: يجري دمعهما.

2 – وأنت: تفعل كما يفعل الناس عند المصائب.

3 – أخرجه البخاري في صحيحه (83/2) ح(1303).

4 – سورة البقرة: الآيتين 156 –157.

5 – حسن. أخرجه الترمذي في سننه (332/2) ح(1021).

6 – حسن. أخرجه ابن ماجه في سننه (1338/2) ح(4031).

صبرت واحتسبت منذ اللحظة الأولى التي فارق ولدها الحياة، لتتحصل على الأجر كاملًا، لحديث أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه: أن رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: **(أَتَى عَلَى امْرَأَةٍ تَبْكِي عَلَى صَبِيٍّ لَهَا، فَقَالَ لَهَا: اتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي، فَقَالَتْ: وَمَا تُبَالِي(1) بِمُصِيبَتِي فَلَمَّا ذَهَبَ، قِيلَ لَهَا: إِنَّهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَأَخَذَهَا مِثْلُ الْمَوْتِ، فَأَتَتْ بَابَهُ، فَلَمْ تَجِدْ عَلَى بَابِهِ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ أَوَّلِ صَدْمَةٍ، أَوْ قَالَ: عِنْدَ أَوَّلِ الصَّدْمَةِ)**(2).

أوصت من حولها من أهل البيت ألا يذيعوا خبر موت الصغير، خاصة لزوجها، فهي من سيقوم بهذه المهمة الشاقة، فقد اعتاد زوجها أن يصلي الفجر جماعة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم يعود إلى بيته، ومن ثَمَّ يخرج إلى عمله ولا يعود إلا بعد المغرب، ويكون قد أنهكه التعب، وهي لا ترغب في زيادة تعبه وإرهاقه، فقد خرج أبو طلحة بجسده فقط، بينما ترك روحه معلقة مع ابنه المريض.

أخذت تبحث مع بنات أفكارها طريقة للتخفيف من وقع هذه المصيبة على قلب زوجها، فقامت وغسّلت الصغير وكفّنته وطيبته ووضعته في غرفة نوم أولادها.

وصل أبو طلحة رضي الله عنه البيت(3) بعد أن صلى العشاء مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فوجد زوجته في استقباله على باب البيت بابتسامة ساحرة، وبعينين تشعان حبًا.

دخل أبو طلحة رضي الله عنه البيت متلهفًا للاطمئنان على ولده، فبادر أم سُليم رضي الله عنها بالسؤال عنه وهو يتلفت يمنة ويسرة علّه يراه.

وهنا تتجلى حكمة هذه المرأة الرائعة فقالت له: إن الصغير في أحسن حالاته، سكن نَفَسَه – بمعنى مات– ففهم أبو طلحة أنه أصبح بخير بعد أن كان نَفَسَه عاليًا من شدة المرض، وبسرعة البرق وضعت مائدة الطعام بين يديه، فأكل حتى شبع.

---

1 – **تُبَالِي**: تكترث.

2 – أخرجه مسلم في صحيحه (637/2) ح(926).

3 – **وقيل**: أحضر جماعة من أهل المسجد صيامًا ليفطروا في بيته.

ما إن غسل أبو طلحة ﷺ يديه بعد تناول الطعام، فإذا برائحة عطر ينتشر شذاه في المكان، يتتبع بأنفه تلك الرائحة العطرة فإذا به يجد زوجه قد تزينت – فما بالنا لو كانت متخصصة في زينة النساء(كوافير)– ولبست ثياب النوم، فطار إلى الفراش أمام هذه الجاذبية التي لا مجال لمقاومتها فكان بينهما جماع.

لا شك أن الله أكرم أبا طلحة ﷺ بامرأة من خير النساء يشهد لها بذلك حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ؟ قَالَ: **(الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا بِمَا يَكْرَهُ)**(1). فقد اطمأنت أم سُليم ﷺ أن أبا طلحة ﷺ قد أشبع شهوتي بطنه وفرجه، وأزاحت بذلك عن كاهله التعب، ونال قسطًا من النوم.

لقد حرص الإسلام على جهوزية المرأة الدائمة لزوجها(2) لا سيّما وأن التأخر في إشباع شهوتيّ البطن والفرج سبب رئيس للخصومة بين الزوجين؛ لما تعتري الزوج حالة من الغضب عندما لا تكون زوجته بالجهوزية الكاملة؛ لذلك نهى الإسلام المرأة أن تصوم التطوع بغير إذن زوجها كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(لاَ يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلاَ تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ)**(3).

كل امرأة عاقلة تعرف أن توفير متطلبات زوجها لنيل رضاه **فرض وواجب** ومقدم على كل النوافل، وليس أدلّ على ذلك من الحديث السابق، ويؤيده حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ

---

1 – **صحيح**. أخرجه النسائي في سننه (68/6) ح(3231).

2 – لقد ضيّق الإسلام **ما هو ممنوع** في العلاقة الجنسية بين الزوجين إلى أضيق حدود، وجعلها على سبيل الحصر فيما يُلحق ضررًا بأيّ شكل من أشكال الضرر على وجه العموم، وما فيه ضرر قد ورد فيه نص على وجه الخصوص وهو إتيان المرأة في دبرها أو جماعها وهي حائض كما في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ أَتَى كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ. ...**أَوْ أَتَى امْرَأَتَهُ حَائِضًا أَوْ أَتَى امْرَأَتَهُ فِي دُبُرِهَا فَقَدْ بَرِئَ مِمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ**) **صحيح**. أخرجه أبو داود في سننه (21/4) ح(3906)، أما ما سوى ذلك فقد جعل حِلَّ استمتاع كل من الزوجين بالآخر لا حدود له.

3 – أخرجه البخاري في صحيحه (30/7) ح(5195).

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: **(إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خُمُسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ بَعْلَهَا دَخَلَتْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَتْ)**(1).

كما لا يخفى على أيّ عاقلة ما أمرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم من سرعة استجابة المرأة لزوجها إذا كان يرغب بعلاقة حميمية معها في أيّ وقت تثور شهوته ويزداد شوقه لقربها كما في الحديث عَنْ طَلْقِ بْنِ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: **(إِذَا الرَّجُلُ دَعَا زَوْجَتَهُ لِحَاجَتِهِ فَلْتَأْتِهِ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَى التَّنُّورِ)**(2).

إن كثيرًا من المصائب تحصل في البيوت، وكثيرًا من الفتور في العلاقات الزوجية سببه تأخر الزوجة عن تلبية رغبة زوجها الجنسية، لذلك أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الرجل أنه حين يتعرض لموقف يشعر بأن شهوته قد ثارت عليه لرؤية امرأة في الشارع أن يُسارع بإطفاء هذه الشهوة في الحلال كما في حديث جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ: **(إِذَا أَحَدُكُمْ أَعْجَبَتْهُ الْمَرْأَةُ، فَوَقَعَتْ فِي قَلْبِهِ، فَلْيَعْمِدْ إِلَى امْرَأَتِهِ فَلْيُوَاقِعْهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ)**(3).

إنّ تحجج المرأة بانشغالها في أمور جانبية –أثناء عودة زوجها من عمله وعلى حساب وقته – سبب رئيس لهدم عش الزوجية، وإطفاء شعلة الحب والغرام بين الزوجين، فبعض النساء تنشغل أحيانًا بترتيب وتلميع البيت، وأخرى منشغلة بعلاقاتها الاجتماعية، وثالثة في تلاوة القرآن وصيام النافلة، وأخرى بمراجعة واجبات أولادها المدرسية، وكلهن على خطأ وخطر عظيم؛ لأن النتيجة دمار البيت(4).

---

1 – **صحيح**. أخرجه ابن حبان في صحيحه (471/9) ح(4163).

2 – **صحيح**. أخرجه الترمذي في سننه (465/3) ح(1160).

3 – أخرجه مسلم في صحيحه (1021/2) ح(1403).

4 – ما ذكرناه من أمور تنشغل بها المرأة هي أمور **تؤجر** عليها إذا رتبت الأولويات؛ فكيف بها لو انشغلت في أمور **تأثم** إذا قامت بها؛ كالانشغال في تقليب صفحات التواصل الاجتماعي (الفيس بوك وأخواته من وسائل الغزو الفكري)، ومحادثة الصديقات، ومتابعة آخر الموضات، وعروض التخفيضات، أو الخروج إلى الرحلات، وغير ذلك الكثير... .

كيف تقبل على نفسها أن تُطرد من رحمة الله بسبب غضب زوجها منها كما في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: **(إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ(1) فَأَبَتْ(2) فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا المَلاَئِكَةُ(3) حَتَّى تُصْبِحَ)** (4).

إن عدم تخصيص مساحة كافية للزوج للرَبْتِ على كتفه بحنية بعد عودته من مشاق الحياة والصراع من أجل تأمين لقمة العيش يجعله يعيش في عزلة في بيته، يصبح شبح رجل في البيت، أما الروح فقد انطفأت منذ زمن بعيد بعد أن أصبح صرّافًا آليًّا لتوفير احتياجات الأسرة.

لا أكثر.

إن المرأة الحقيقة هي التي تعتبر زوجها ولدها المدلل الذي يحتاج إلى الحب والحنان، والمرأة الأنانية هي التي ترى أن هذا حق لها فقط، وأن هذا رجل ولا يوجد داعٍ لهذا الدلع من طرفها لزوجها.

حقيقة لا أعلم كيف أمضت أم سُليم ليلتها، بعد يوم طويل من المشقة والتعب والحزن؟.

كيف باتت وبنات أفكارها يتصارعن في الوصول إلى وسيلة لإعلام أبي طلحة رضي الله عنه بالمصيبة؟.

أتُراها كيف استقر رأسها على وسادتها وضجيج قلبها على فقد ولدها كأنه طاحونة تدور في رأسها؟.

لاح ضوء الفجر وجهز أبو طلحة رضي الله عنه نفسه للخروج إلى المسجد ليصلي الفجر جماعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون في ذمة الله كما في حديث جُنْدَب بْن عَبْدِ

---

1 – **فِرَاشِهِ**: ليجامعها.

2 – **فَأَبَتْ**: امتنعت عن إجابته.

3 – **لَعَنَتْهَا المَلاَئِكَةُ**: دعت الله تعالى أن يطردها من رحمته ويبعدها من جنته أو يعاقبها عقوبة شديدة.

4 – أخرجه البخاري في صحيحه (116/4) ح(3237).

اللهِ رضي الله عنه يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: **(مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ**(1)، **فَلَا يَطْلُبَنَّكُمُ اللهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ فَيُدْرِكَهُ فَيَكُبَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ)**(2).

فبدأت معه حوارًا راقيًا لإيصال الخبر فسألته قائلة: يَا أَبَا طَلْحَةَ أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْمًا أَعَارُوا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ، فَطَلَبُوا عَارِيَتَهُمْ، أَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ؟.

قَالَ: لَا.

قَالَتْ: فَاحْتَسِبِ ابْنَكَ.

فسألها عن مكانه، فأخبرته: أنه في غرفة نوم أخوته، فذهب إليه وكشف الثوب عن وجهه و**حمد الله واسترجع**.

هنا تحقق لأم سُليم رضي الله عنها ما خططت له منذ البداية، ألّا يضيع أجر أبي طلحة رضي الله عنه إذا جزع على موت ابنه لشدة تعلقه به، وهذا يدلل على الحب الكبير الذي تحمله أم سُليم رضي الله عنها لأبي طلحة رضي الله عنه في قلبها، فحرصها على أن ينال الأجر مثلها، وألا يقع في أمر حذّر منه الشرع لهو دليل كمال إيمانها، كما جاء في الحديث عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: **(لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)** (3).

تخيل معي لو أن هذا النموذج من النساء موجود في بيوت المسلمين، لك أن تتخيل حينها مدى الاستقرار والاطمئنان في البيت.

إن المرأة المسلمة الصالحة هي كنز يجب أن يُحافظ عليه الزوج ويؤيد ذلك ما جاء عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه **قَالَ: (لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ...﴾ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: أُنْزِلَتْ فِي الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، لَوْ عَلِمْنَا**

---

1 – **في ذمة الله:** الأمان.

2 – أخرجه مسلم في صحيحه (1/ 454) ح(657).

3 – أخرجه البخاري في صحيحه (1/ 12) ح(13).

أَيُّ المَالِ خَيْرٌ فَنَتَّخِذَهُ؟ فَقَالَ: أَفْضَلُهُ لِسَانٌ ذَاكِرٌ، وَقَلْبٌ شَاكِرٌ، وَزَوْجَةٌ مُؤْمِنَةٌ تُعِينُهُ عَلَى إِيمَانِهِ) قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ(1).

ولك أن تتخيل بعد كل ما بذلته هذه المرأة من جهد، وكيف ضمدت جراح قلبها بنفسها على فقد ولدها، وبعد هذا الجهد الكبير الذي بذلته أم سُليم رضي الله عنها في حُسن عشرتها لأبي طلحة رضي الله عنه.

يغضب أبو طلحة رضي الله عنه من تأخير أم سُليم الخبر عنه، بل ولا يكتفي بغضبٍ في البيت فقط، بل اشتكى فعلها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ....

لك أن تتخيل لو أن زوجة من زوجاتنا قابلها زوجها بالغضب بعد كل هذا الجهد والتعب، لشكت وبكت وأقامت الدنيا ولم تقعدها، وعلم بذلك القاصي والداني.

لكن هذه الزوجة العاقلة علمت أن ردة فعل زوجها ردة فعل طبيعية لا بد لها أن تتحمل غضبه اللحظي الذي سرعان ما يمضي في حال سبيله.

هذه الزوجة الحكيمة علمت أن مشاعر زوجها المكلوم لفقد ولده، أنسته للحظات ما قدّمته زوجته الحبيبة.

فعلت ذلك لأنها تعلم عظيم حق زوجها عليها كما في الحديث عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: **(سَأَلْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم أَيُّ النَّاسِ أَعْظَمُ حَقًّا عَلَى الْمَرْأَةِ؟ قَالَ: زَوْجُهَا. قُلْتُ: فَأَيُّ النَّاسِ أَعْظَمُ حَقًّا عَلَى الرَّجُلِ؟ قَالَ: أُمُّهُ)**(2). وتعلم كذلك الرتبة السامية التي رفع بها الإسلام مكانة الزوج، وأن المرأة لن تؤدي حق الله عليها وتنال رضاه إلا إذا أدت حق زوجها عليها كما جاء عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى، قَالَ: (لَمَّا قَدِمَ مُعَاذٌ رضي الله عنه مِنَ الشَّامِ سَجَدَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، قَالَ: مَا هَذَا يَا مُعَاذُ؟. قَالَ: أَتَيْتُ الشَّامَ فَوَافَقْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لِأَسَاقِفَتِهِمْ وَبَطَارِقَتِهِمْ(3)، فَوَدِدْتُ فِي نَفْسِي أَنْ نَفْعَلَ ذَلِكَ بِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ

---

1 – **صحيح**. أخرجه الترمذي في سننه (277/5) ح(94).

2 – **حسن**. أخرجه النسائي في السنن الكبرى (254/8) ح(9103).

3 – **لِأَسَاقِفَتِهِمْ وَبَطَارِقَتِهِمْ**: رؤساؤهم وأمراؤهم.

صلى الله عليه وآله وسلم: فَلَا تَفْعَلُوا، فَإِنِّي لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ اللَّهِ، لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا، وَلَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا(1) وَهِيَ عَلَى قَتَبٍ لَمْ تَمْنَعْهُ(2))(3).

إن هذه الأخلاق الحميدة والأدب الرفيع كان عند العرب قديمًا، فقد كان الزوج له من المكانة والقدسية عند العرب الشيء الكبير، وقد جاء الإسلام معززًا لهذه المكانة، مُعطيًا الأجر العظيم للزوجة الصالحة، ومما يؤكد ذلك ما أوصت به أُمَامَةُ بِنْتُ الحَارِث ابنتها فقالت لها: "**أَيْ بُنَيَّة**: إِنَّ الوَصِيَّة لَوْ تُرِكَتْ لِفَضْلِ أَدَبٍ؛ تُرِكَتْ لِذَلِكَ مِنْكِ، وَلكِنَّهَا تَذْكِرَةٌ لِلغَافِلِ، وَزَادٌ لِلْعَاقِلِ، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً اسْتَغنَتْ عَنِ الزَّوْجِ لِغِنى أَبَوَيْهَا، وَشِدَّةِ حَاجَتِهِمَا إِلَيْهَا؛ كُنْتِ أَغْنى النَّاسِ عَنه، وَلَكِنَّ النِّسَاءَ لِلرِّجَالِ خُلِقْن، وَلَهُنَّ خُلِقَ الرِّجَال.

أَيْ بُنَيَّة؛ إِنَّكِ فَارَقْتِ الجَوَّ الَّذِي مِنهُ خَرَجْتِ، وَتَرَكْتِ العُشَّ الَّذِي فِيهِ دَرَجْتِ؛ إِلى وَكْرٍ لَمْ تَعْرِفِيه، وَقَرِينٍ لَمْ تَأْلَفِيه؛ فَكُونِي لَهُ أَمَةً يَكُنْ لَك عَبْدًا.

أَيْ بُنَيَّة؛ احْفَظِي عَنِّي عَشْرَ خِصَالٍ تَكُنْ لَكِ ذُخْرًا: "الصُّحْبَةُ بِالْقَنَاعَة، وَحُسْنُ السَّمْعِ لَهُ وَالطَّاعَة، وَالتَعَهُّدُ لِمَوْقِعِ عَيْنِه، وَالتَّفَقُّدِ لمَوْضِعِ أَنْفِه، فَلاَ تَقَعْ عَيْنُهُ مِنْكِ عَلَى قَبِيح، وَلاَ يَشُمَّ مِنْكِ إِلاَّ أَطْيَبَ رِيح، وَالكُحْلُ أَحْسَنُ الحُسْن، وَالمَاءُ أَطْيَبُ الطِّيبِ المَفْقُود، وَالتَّعَهُّدُ لِوَقْتِ طَعَامِه، وَالهُدُوءُ عِنْدَ مَنَامِه؛ فَإِنَّ حَرَارَةَ الجُوعِ مَلْهَبَة، وَتَنغِيصُ النَّوْمِ مَغْضَبَة، وَالحِفَاظُ عَلَى بَيْتِهِ وَمَالِه، وَالرِّعَايَةُ لَهُ وَعِيَالِه؛ فَإِنَّ الحِفَاظَ عَلَى المَالِ حُسْنُ تَقْدِير، وَرِعَايَةُ الْعِيَالِ حُسْنُ تَدْبِير، وَلاَ تُفْشِي لَهُ سِرًّا، وَلاَ تَعْصِي لَهُ أَمْرًا؛ فَإِنَّكِ إِن أَفْشَيْتِ سِرَّه؛ لَمْ تَأْمَنِي غَدْرَه، وَإِن عَصَيْتِ أَمْرَه؛ أَوْغَرْتِ صَدْرَه، ثُم اتَّقِي بَعْدَ ذَلِكَ الفَرَحَ بَيْنَ يَدَيْهِ إِنْ كَانَ تَرِحًا، وَالاَكْتِئَابَ عِنْدَهُ إِنْ كَانَ فَرِحًا؛ فَإِنَّ الأُولى مِنَ التَقْصِير، وَالثَّانِيَةُ

---

1 – **سَأَلَهَا نَفْسَهَا**: أي الجماع.

2 – **لَمْ تَمْنَعْهُ**: معناه الحث على مطاوعة أزواجهن.

3 – **حسن**. أخرجه ابن ماجه في سننه (595/1) ح(1853).

مِنَ التَّكدِير، وَكُوني أَشَدَّ مَا تَكُونِينَ لَهُ إِعْظَامًا؛ يَكُن أَشَدَّ مَا يَكُونُ لَكِ إِكْرَامًا، وَاعْلَمِي أَنَّكِ لَنْ تَصِلِي إِلى مَا تحِبِّيْن؛ حَتىَّ تُؤثِرِي رِضَاهُ عَلَى رِضَاكِ، وَهَوَاهُ عَلَى هَوَاكِ فيما أحببت وكرهت، والله يَخِيرُ لك"(1).

يا لها من نصيحة تُكتب بماء الذهب على صفحات القلوب النقية، فهل من مستمعة لها؟ هل من مدركة لهذه المكانة التي ستنالها المرأة إذا أكرمت زوجها؟.

لقد كان لصبر أم سُليم رضي الله عنها أثر بالغ على ابنها أنس رضي الله عنه فها هو يصبر على موت قرابة سبعين أو ثمانين ولد وحفيد له في طاعون الجارف كما قَالَ أَبُو اليَقْظَانِ: "**مَاتَ لأَنسٍ فِي طَاعُوْنِ الجَارِفِ**(2) **ثَمَانُوْنَ ابْنًا. وَقِيْلَ: سَبْعُوْنَ**"(3). ويقول أَنَسٌ رضي الله عنه: "**فَقَدْ دَفَنْتُ مِنْ صُلْبِي مِائَةً غَيْرَ اثْنَيْنِ – أَوْ قَالَ: مِائَةً وَاثْنَيْنِ**"(4). وعند الإمام أحمد رحمه الله: "وَذَكَرَ –أَنَسٌ رضي الله عنه– أَنَّ ابْنَتَهُ الْكُبْرَى أُمَيْنَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهُ دُفِنَ مِنْ صُلْبِهِ إِلَى مَقْدَمِ الْحَجَّاجِ نَيِّفًا عَلَى عِشْرِينَ وَمِائَةٍ"(5).

---

1 – الميداني/مجمع الأمثال (263/2).

2 – قال الذهبي رحمه الله: كان طاعون الجارف بالبصرة سنة 69هـ. قال المدائني: حدَّثني من أدرك ذلك قال: كان ثلاثة أيام، فمات فيها نحو مائتي ألف نفس. وقال غيره: مات في طاعون الجارف لأنس من أولاده وأولادهم سبعون نفسًا.

3 – الذهبي/سير أعلام النبلاء(422/4).

4 – ابن سعد/الطبقات الكبرى (19/7).

5 – **صحيح**. أخرجه أحمد في مسنده (109/19) ح(12053).

عِوَض الله سبحانه وتعالى لأم سُليم رضي الله عنها

كانت أم سُليم رضي الله عنها موقنة تمامًا بأن الله لا يُضيع أجر من أحسن عملًا، وكيف يساورها شك في ذلك وهي تتلو آية من كتاب ربها عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ٣٠﴾ (1).

ضربت أم سُليم رضي الله عنها في تلك الليلة أروع الأمثلة في الصبر والاحتساب، داعية الله أن يبدلها خيرًا مما فقدت، كما في الحديث عَنْ أَبِي قَتَادَةَ، وَأَبِي الدَّهْمَاءِ رضي الله عنهما، قَالَا: أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَقُلْنَا: هَلْ سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: **(إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا لِلَّهِ إِلَّا بَدَّلَكَ اللَّهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ)**(2)، حتى شكوى زوجها منها كان فيها الخير الكثير، فقد دعا لهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالبركة، فحملت أم سُليم رضي الله عنها **كما جاء عَنْ أَنَسٍ** رضي الله عنه **قَالَ: (مَاتَ ابْنٌ لِأَبِي طَلْحَةَ، مِنْ أم سُليم، ... فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللهِ** صلى الله عليه وآله وسلم**، فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ**(3)**، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ** صلى الله عليه وآله وسلم**: بَارَكَ اللهُ لَكُمَا فِي غَابِرِ لَيْلَتِكُمَا. قَالَ: فَحَمَلَتْ، ...)**(4). ببركة دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حملت أم سُليم رضي الله عنها حملًا بارك الله فيه وفي ذريته.

---

1 – سورة الكهف: الآية 30.

2 – **صحيح**. أخرجه الإمام احمد في مسنده (170/38) ح(23074).

3 – جاءت إجابة أبي طلحة رضي الله عنه على سبيل العموم لحاجة شرعية غير مفصلة في كيفية العلاقة، أما **الأصل** في المعاشرة الجنسية بين الزوجين أن تظل **سريّة**، وألا ينشر أحد الزوجين أسرار الفراش، وقد نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك فقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: **(إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا)**. أخرجه مسلم في صحيحه (1060/2) ح(1437)، وقد عدَّ الإسلام هذا الفعل من خيانة الأمانة التي سيُحاسب الخائن على إضاعتها يوم القيامة كما في الحديث مع ضعفه عند أبي داود عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رضي الله عنه يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم **(إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الأَمَانَةِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِى إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِى إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا)** (419/4) ح(4872).

4 – أخرجه مسلم في صحيحه (1909/4) ح(2144).

رغم التعلق الشديد بالحمل القادم، إلا أن ذلك لم يمنع أم سُليم ﵂ أن تبقى على ما هي عليه من طاعة ومجاهدة، وخروج مع رسول الله ﷺ في أسفاره برفقة زوجها ﵁، وها هي تخرج وهي حامل بجنينها للجهاد في سبيل الله في معركة حنين(1) حاملة خنجرًا.

وبينا رسول الله ﷺ يرغب بالعودة من سفره إلى المدينة المنورة يضرب ألم الولادة أم سُليم ﵂ ويمنعها عن متابعة المسير، ويضطر أبو طلحة ﵁ الزوج المحب أن يكون بجوار زوجته وقت الولادة، كيف لا، وهم في غربة وسفر وليس معها أحد سواه وابنها أنس؟.

ينظر بعين رأسه إلى زوجته، لكنه ينظر بعين قلبه إلى رسول الله ﷺ الذي انطلق قافلًا إلى المدينة.

قلبه معلق بحب رسول الله ﷺ لا يستطيع أن يفارقه، فدعا ربه ﷻ قائلًا: **(...إِنَّكَ لَتَعْلَمُ، يَا رَبِّ إِنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ أَخْرُجَ مَعَ رَسُولِكَ إِذَا خَرَجَ، وَأَدْخُلَ مَعَهُ إِذَا دَخَلَ، وَقَدِ احْتَبَسْتُ بِمَا تَرَى...)**(2).

وهنا تتجلى كرامات أولياء الله الصالحين، ويكون استجابة دعاء هذا الرجل العابد المجاهد، ويذهب ألم الولادة، وتقف أم سُليم ﵂ على قدميها من جديد، تُخبر بذلك أم سُليم ﵂ زوجها فـ **(... تَقُولُ أم سُليم: يَا أَبَا طَلْحَةَ مَا أَجِدُ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ**(3)**، انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا...)**(4).

تعرف أبو طلحة ﵁ على الله وقت الرخاء فاستجاب الله له الدعاء وقت الشدة، كما في الحديث: **(تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ)**(5).

---

1 – ابن سعد/الطبقات الكبرى (425/8).

2 – أخرجه مسلم في صحيحه (1909/4) ح(2144).

3 – **ما أجد الذي كنت أجد**: تريد أن الطلق انجلى عنها وتأخرت الولادة.

4 – أخرجه مسلم في صحيحه (1909/4) ح(2144).

5 – **صحيح**. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (12/ 354) ح(9529).

قدّم أبو طلحة رضي الله عنه بين يدي الله نفسه وروحه رخيصة في سبيل الله، حرص على النافلة قبل الفريضة، قدّم نفسه قربانًا لله تعالى فكان حقًّا على الله أن يستجيب له الدعاء، كما جاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: **(إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا**(1) **فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ**(2)**، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ**(3)**، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ**(4) **الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي**(5) **لَأُعِيذَنَّهُ،...)**(6).

ما إن حطت أم سُليم رضي الله عنها رحالها في بيتها مساء حتى عاد ألم الولادة من جديد، وولدت غلامًا وكان ذلك في **السنة الثامنة** من الهجرة(7)، وأصدرت أوامرها المشددة لابنها **أنس** بألّا يُرضع الصغير أحد حتى يذهب به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيحنكه، وبات أنس يرعى الصغير ويحرسه(8).

تتحمل أم سُليم رضي الله عنها ألم الحمل لأن الأجر عظيم، يُطمئن قلبها حديث: **(إِنَّ لِلْمَرْأَةِ فِي حَمْلِهَا إِلَى وَضْعِهَا إِلَى فِصَالِهَا مِنَ الْأَجْرِ كَالْمُتَشَحِّطِ**(9) **فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ هَلَكَتْ فِيمَا**

---

1 – **وليًّا**: هو العالم بدين الله تعالى المواظب على طاعته المخلص في عبادته.

2 – **آذنته بالحرب**: أعلمته بالهلاك والنكال.

3 – **مما افترضت عليه**: من الفروض العينية وفروض الكفاية.

4 – **كنت سمعه**: أحفظه كما يحفظ العبد جوارحه من التلف والهلاك وأوفقه لما فيه خيره وصلاحه وأعينه في المواقف وأنصره في الشدائد.

5 – **استعاذني**: استجار بي مما يخاف.

6 – أخرجه البخاري في صحيحه (8/ 105) ح(6502).

7 – لاشين/فتح المنعم شرح صحيح مسلم (397/8).

8 – وفي رواية: "قَالَتْ أُمِّي: يَا أَنَسُ، لَا يُطْعَمْ شَيْئًا حَتَّى تَغْدُوَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: فَبَاتَ يَبْكِي، وَبِتُّ مُجْتَنِحًا عَلَيْهِ –أي مائلًا– أُكَالِئُهُ– أي: أحرسه وأهتم بشأنه– حَتَّى أَصْبَحْتُ" أخرجه الإمام أحمد في مسنده (464/21) ح(14088).

9 – **كَالْمُتَشَحِّطِ**: الذي يتخبط في دمه ويضطرب ويتمرغ.

بَيْنَ ذَلِكَ فَلَهَا أَجْرُ الشَّهِيدِ)(1).

ويؤيده في عظيم أجر من ماتت أثناء الولادة حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: **(مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟ قَالُوا: الَّذِي يُقَاتِلُ فَيُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ الْقَتِيلُ فِي سَبِيلِ اللهِ شَهِيدٌ، وَالْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ**(2) **شَهِيدٌ)** (3).

ما إن أشرقت شمس الصباح حتى سارع أنس رضي الله عنه بأخيه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأخبره قائلًا: **إِنَّ أم سُليم وَلَدَتِ اللَّيْلَةَ، فَكَرِهَتْ أَنْ تُحَنِّكَهُ**(4) **حَتَّى يُحَنِّكَهُ رَسُولُ اللهِ** صلى الله عليه وآله وسلم.

فَقَالَ: أَمَعَكَ شَيْءٌ؟.

قُلْتُ: تَمَرَاتُ عَجْوَةٍ.

فَأَخَذَ بَعْضَهُنَّ فَمَضَغَهُنَّ، ثُمَّ جَمَعَ بُزَاقَهُ فَأَوْجَرَهُ إِيَّاهُ(5)، **فَجَعَلَ يَتَلَمَّظُ، فَقَالَ: حُبُّ الْأَنْصَارِ التَّمْرَ.**

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ سَمِّهِ.

قَالَ: هُوَ عَبْدُ اللهِ)(6).

هنيئًا لك أيّها الصغير تسمية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لك، وأن يمسح بيده الشريفة الطاهرة وجهك الصغير(7)، وأن يدعو لك، ويالها من دعوة طيبة صعدت إلى الله تعالى

---

1 – **ضعيف**. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (93/13) ح(13734).

2 – **بِجُمْعٍ**: الميّتةُ في النِّفاس وولدها في بطنها لم تلده وقد تمَّ خلقُه، وقيل: هي التي تموت من الولادة سواء ألقت ولدها أم لا.

3 – **حسن**. أخرجه الإمام أحمد في مسنده (360/37) ح(22685).

4 – **تحنكه**: من التحنيك، وهو أن يمضغ شيئًا حلوًا حتى يصير مائعًا بحيث يُبتلع، ثم يفتح فم المولود، فيضعه فيه، ليدخل شيء منها جوفه.

5 – **فأوجره**: أي جعله في فمه.

6 – **صحيح**. أخرجه الإمام أحمد في مسنده (85/19) ح(12028).

7 – **انظر**؛ صحيح مسلم في صحيحه (1909/4).

فاستجاب المولى ﷻ لرسوله ﷺ فمدّ الله ﷻ في عمر عبد الله وبارك في ذريته قَالَ عباية بن رفاعة بن رافع بن خديج رضي الله عنه **مِنَ الأَنْصَارِ: "فَرَأَيْتُ لَهُمَا**(1) **تِسْعَةَ**(2) **أَوْلَادٍ كُلُّهُمْ قَدْ قَرَأَ القُرْآنَ"**(3)**.**، وقد غدا عبد الله فارسًا من فرسان الإسلام استُشهد بفارس(4).

---

1 – **لهما**: من ولدهما عبد الله الذي حملت به تلك الليلة ودعا لهما النبي ﷺ بالبركة فيها.

2 – من هؤلاء التسعة عالم من العلماء وهو أبو يحيى إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة زيد بن سهل الأنصاري النجاري، بالنون، المدني. كان يسكن دار جده بالمدينة، وهو تابعي، سمع عمه لأمه أنس بن مالك، وأبا الطفيل بن أُبىّ بن كعب، وأبا صالح، وآخرين من التابعين. روى عنه يحيى بن سعيد الأنصاري، ويحيى بن أبى كثير، وهما تابعيان، والأوزاعي، ومالك، وعبد العزيز الماجشون، وابن عيينة، وهمام، وحماد بن سلمة، وآخرون. واتفقوا على أنه ثقة، وأحاديثه مشهورة في الصحيحين، وهو أشهر إخوته وأكثرهم حديثًا، وهم عبد الله، ويعقوب، وإسماعيل، وعمّر بنو عبد الله. وكان مالك لا يقدم عليه في الحديث أحدًا. توفى سنة ثنتين وثلاثين ومائة. وقيل: سنة أربع وثلاثين. **انظر**؛ النووي/تهذيب الأسماء واللغات (116/1).

3 – أخرجه البخاري في صحيحه (82/2) ح(1301).

4 – أبو نعيم/ معرفة الصحابة (1654/3).

أم سُليم رضي الله عنها تؤسس البيت القدوة

حرصت أم سُليم رضي الله عنها على أن يؤسس هذا البيت على تقوى من الله؛ مرددة في كل مرة في قرارة نفسها قول الله عز وجل: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾(1)؛ ولأن أصحاب هذا البيت أهل علم، فكانوا وقَّافين عند حدود الله سبحانه وتعالى لا يتخطونها، فهم لا يحتاجون إلى رقابة شُرَطية لتردعهم عن اقتراف الحرام، تكفيهم آية من كتاب الله، أو أمرًا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصل إليهم؛ ليمتنعوا عن عادات متجذرة في حياتهم، نشأت معهم منذ طفولتهم، لكنه الانتماء الصادق لهذا الدين، ومن أمثلة هذه النماذج المشرقة ما رواه أَنَس رضي الله عنه: (**كُنْتُ سَاقِيَ القَوْمِ فِي مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ، وَكَانَ خَمْرُهُمْ** (2) **يَوْمَئِذٍ الفَضِيخَ**(3)، **فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ** صلى الله عليه وآله وسلم **مُنَادِيًا يُنَادِي: أَلاَ إِنَّ الخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ. قَالَ: فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: اخْرُجْ، فَأَهْرِقْهَا**(4)، **فَخَرَجْتُ فَهَرَقْتُهَا، فَجَرَتْ فِي سِكَكِ**(5) **المَدِينَةِ، ...**)(6).

وقد كان هذا البيت من البيوت التي تُعقد فيها اجتماعات النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة الكرام رضي الله عنهم، ومن ذلك ما رواه عَاصِمٌ الْأَحْوَلُ، قَالَ: (**قِيلَ لِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ بَلَغَكَ أَنَّ رَسُولَ**

---

1 – سورة التوبة: الآية 109.

2 – **خمرهم:** أصل الخمر من المخامرة وهي المخالطة سميت بها لمخالطتها العقل. ومن التخمير وهو التغطية سميت بها لتغطيتها العقل.

3 – **الفضيخ:** شراب يتخذ من البسر، والبسر نوع من التمر.

4 – **فأهرقها:** من الإهراق وهو الإسالة والصب، وأصله الإراقة والهاء زائدة.

5 – **سكك:** جمع سكة وهي الطريق.

6 – أخرجه البخاري في صحيحه (3/ 132) ح(2464).

اللهِ ﷺ، **قَالَ: لاَ حِلْفَ فِي الإِسْلاَمِ**(1) **فَقَالَ: قَدْ حَالَفَ**(2) **النَّبِيُّ** ﷺ **بَيْنَ قُرَيْشٍ وَالأَنْصَارِ فِي دَارِي)**(3).

لقد تأصلت التربية في هذه العائلة المباركة، فرسول الله ﷺ ليس أيّ أحد؛ فالصغير قبل الكبير يعرف للنبي ﷺ مقامه، واستجابة دعائه، يروي لنا ذلك أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: (كَانَتْ عِنْدَ أم سُلَيم يَتِيمَةٌ، وَهِيَ أُمُّ أَنَسٍ، فَرَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ الْيَتِيمَةَ، فَقَالَ: **آنْتِ هِيَهْ؟ لَقَدْ كَبِرْتِ، لَا كَبِرَ سِنُّكِ**. فَرَجَعَتِ الْيَتِيمَةُ إِلَى أم سُلَيم تَبْكِي، فَقَالَتْ أم سُلَيم: مَا لَكِ؟ يَا بُنَيَّةُ. قَالَتِ الْجَارِيَةُ: دَعَا عَلَيَّ نَبِيُّ اللهِ ﷺ ، أَنْ لَا يَكْبَرَ سِنِّي، فَالْآنَ لَا يَكْبَرُ سِنِّي أَبَدًا، أَوْ قَالَتْ قَرْنِي(4). فَخَرَجَتْ أم سُلَيم مُسْتَعْجِلَةً تَلُوثُ خِمَارَهَا(5)، حَتَّى لَقِيَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: **مَا لَكِ يَا أم سُلَيم**. فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ أَدَعَوْتَ عَلَى يَتِيمَتِي قَالَ: وَمَا ذَاكِ؟ يَا أم سُلَيم. قَالَتْ: زَعَمَتْ أَنَّكَ دَعَوْتَ أَنْ لَا يَكْبَرَ سِنُّهَا، وَلَا يَكْبَرَ قَرْنُهَا، قَالَ **فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ** ﷺ(6)، ثُمَّ قَالَ: **يَا أم سُلَيم أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ شَرْطِي عَلَى رَبِّي، أَنِّي اشْتَرَطْتُ عَلَى رَبِّي فَقُلْتُ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ، وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ، فَأَيُّمَا أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ، مِنْ أُمَّتِي، بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ، أَنْ يَجْعَلَهَا لَهُ طَهُورًا وَزَكَاةً، وَقُرْبَةً يُقَرِّبُهُ بِهَا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)**(7). فهذه الصغيرة عرفت من خاطبها، فسارعت تشكو لأمها خشية أن تُصيبها دعوة المصطفى ﷺ .

---

1 – **لا حلف**: لا تعاهد على مثل ما كانوا يتعاهدون عليه في الجاهلية مما يتعارض مع الإسلام.

2 – **حالف**: آخى بينهم وعاهد على التعاون والنصرة في الحق.

3 – أخرجه البخاري في صحيحه (96/3) ح(2294).

4 – **قَرْنِي**: السن والقرن واحد يقال سنه وقرنه مماثلة في العمر. فكأنه قال لها لا طال عمرك؛ لأنه إذا طال عمرها طال أصل قرنه.

5 – **تَلُوثُ خِمَارَهَا**: تديره على رأسها.

6 – **فَضَحِكَ**: ضحك النبى ﷺ من خوف أم سليم وهيبتها من إجابة دعوته.

7 – أخرجه مسلم في صحيحه (2009/4) ح(2603).

أم سُليم رضي الله عنها تتحمل الضرب من أجل بيتها

ربما أفردت هذا العنوان والذي يليه رغم شح المصادر وضعفها؛ ليعلم القارئ الكريم أن دوام الحال من المُحال، وأن أيّ بيت مهما كانت تسوده المودة والرحمة، ولغة الحوار فيه هي لغة التفاهم والعقلانية، إلا أن الشيطان ينزغ بين الإنسان وأقرب الناس إليه بين الفينة والأخرى، وربما في بعض المواقف يصل الأمر إلى إلغاء العقل، وذهاب التفاهم أدراج الرياح، واستبدال ذلك بالضرب كما حصل مع بطلة قصتنا أم سُليم رضي الله عنها روى ذلك ابنها أنس فقال: "**أتيت أبا طلحة وهو يضرب أمّي فقلت: تضرب هذه العجوز؟**."(1).، ولم تذكر كتب التراجم أن أم سُليم رضي الله عنها تركت بيت زوجها وشكت وبكت من أجل موقف عابر وإن كان الضرب(2) يُؤلم النفس قبل أن يُؤلم البدن.

كم من بيوت خربت، وأسر دُمرت، وأطفال شُردوا؛ بسبب سوء تقدير من الزوج لزوجته، واستعماله العنف في حالة عصبية وخروج عن شعوره(3)، ورفض المرأة احتواء الموقف ومسارعتها الخروج من بيت الزوجية ليتلقفها كل مفسد(4) مع نهي الإسلام عن هذا السلوك المشين كما في الحديث: (**لَيْسَ مِنَّا مَنْ خَبَّبَ امْرَأَةً عَلَى زَوْجِهَا أَوْ عَبْدًا عَلَى سَيِّدِهِ**)(5). فلا ترجع إلى بيتها لأن الطلاق سيكون هو النتيجة الحتمية.

إن خروج المرأة من غير إذن زوجها معصية تأثم الزوجة بسببها، فلا يجوز بأيّ حال من الأحوال خروج الزوجة من غير إذن زوجها مهما كان السبب الداعي إلى خروجها، فالإسلام أوجب عليها عدم مغادرة بيت الزوجية إذا أمرها الزوج بذلك،

---

1 – ابن عبد البر/الاستيعاب في معرفة الأصحاب (1941/4)، ابن أبي خيثمة/ التاريخ الكبير (تاريخ ابن أبي خيثمة) (2/792) كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري (152/4)، اليعمري/النفح الشذي شرح جامع الترمذي (59/3).

2 – **للمزيد** اقرأ مقالي: "العنف ضد المرأة" عبر موقعي الإلكتروني https://aymanhd.com/.

3 – الحديث عن موقف فردي وليس عن رجل ضعيف لا يستطيع أن يثبت قوامته إلا بالضرب والعنف.

4 – **للمزيد** راجع كتابي: "حقوق ضيعت" ط2 ص(266).

5 _ **صحيح**. أخرجه أبو داود في سننه (220/2) ح(2177).

حتى لو كان لزيارة والديها(1) كما جاء في الحديث عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم: **(أَنَّ رَجُلًا خَرَجَ، وَأَمَرَ امْرَأَتَهُ أَنْ لَا تَخْرُجَ مِنْ بَيْتِهَا، وَكَانَ أَبُوهَا فِي أَسْفَلِ الدَّارِ، وَكَانَتْ فِي أَعْلَاهَا، فَمَرِضَ أَبُوهَا، فَأَرْسَلَتْ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، فَذَكَرَتْ لَهُ ذَلِكَ. فَقَالَ: أَطِيعِي زَوْجَكِ، فَمَاتَ أَبُوهَا، فَأَرْسَلَتْ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، فَقَالَ: أَطِيعِي زَوْجَكِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: إِنَّ اللَّهَ غَفَرَ لِأَبِيهَا بِطَاعَتِهَا لِزَوْجِهَا)**(2).

قال البهوتي رحمه الله: قَالَ أَحْمَدُ رحمه الله فِي امْرَأَةٍ لَهَا زَوْجٌ وَأُمٌّ مَرِيضَةٌ: **طَاعَةُ زَوْجِهَا أَوْجَبُ عَلَيْهَا مِنْ أُمِّهَا** إلَّا أَنْ يَأْذَنَ لَهَا، وَيَحْرُمُ خُرُوجُ زَوْجَةٍ بِلَا إذْنٍ أَوْ بِلَا ضَرُورَةٍ" (3).

إن المتابع للمشاكل الأسرية يدرك تمامًا أن أحد أكبر أسباب الطلاق هو خروج المرأة من بيت الزوجية لحاجة ولغير حاجة بغير إذن زوجها، وهي تظن في قرارة نفسها أن زوجها لا يُمانع ذلك، وربما بعض الأزواج يكتم ذلك في صدره حتى يصل إلى مرحلة الانفجار، وتكون النتيجة الحتمية خلافات حادة بين هذين الزوجين ينتهي إلى الطلاق.

---

1 – أوجب الشرع على الزوج أن يأذن لزوجته بزيارة والديها وقد حددت المادة **(207)** من قانون الأحوال الشخصية أن تكون الزيارة مرة واحدة في الأسبوع فنصت على: "للزوج بعد إيفاء المرأة معجل صداقها أن **يمنعها من الخروج من بيته بلا إذنه** في غير الأحوال التي يباح لها الخروج فيها كزيارة والديها **في كل أسبوع مرة** ومحارمها في كل سنة مرة وله منعها من زيارة الأجنبيات وعيادتهن ومن الخروج إلى الولائم ولو كانت عند المحارم وله إخراجها من منزل أبويها إن كانت صالحة للرجال وأوفاها معجل صداقها وإسكانها بين جيران صالحين حيث سكن من البلدة التي تزوجها بها ولو اشترطا عليها أن لا يخرجها من منزلهما وله أن يمنع أهلها من القرار والمقام عندها في بيته سواء كان ملكاً له أو إجارة أو عارية"، ما لم يكن الضرر العائد من الزيارة أكثر من النفع، فله تأخير الزيارة حتى تنصلح الأحوال.

2 – ضعيف. أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (332/7) ح(7648).

3 – البهوتي/شرح منتهى الإرادات (47/3).

أم سُليم رضي الله عنها يصل بها الأمر إلى الطلاق

ليت الأمر اقتصر على ما ذكرناه في الأسطر القليلة السابقة؛ بل تفاقم الأمر حتى وصل بالزوجين الرائعين إلى الطلاق إثر جدال دار بين أبي طلحة رضي الله عنه وأم سُليم رضي الله عنها كما جاء عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: **(كَانَ بَيْنَ أَبِي طَلْحَةَ وَبَيْنَ أم سُليم كَلَامٌ، فَأَرَادَ أَبُو طَلْحَةَ أَنْ يُطَلِّقَ أم سُليم فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم فَقَالَ: (إِنَّ طَلَاقَ أم سُليم لَحَوْبٌ(1))**(2).

لقد وصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يُريد أن يُقدم عليه أبو طلحة رضي الله عنه بالإثم؛ لما يعلمه الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم من حُسن العشرة، والمودة والرحمة التي تسكن هذا البيت، وأن الخلاف الحاصل من الجدال لا ينبغي أن يُؤدي إلى الطلاق.

لقد فهم أبو طلحة إشارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن ما سُيقدم عليه ليس بالأمر الصواب، وأن هذه النزغة من نزغات الشيطان يجب أن يستعيذ بالله سبحانه وتعالى منها.

عمل أبو طلحة رضي الله عنه بنصيحة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي بيّن طبيعة المرأة وأن الرجل يجب عليه أن يتفهم ذلك، كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: **(إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ، فَإِنِ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَبِهَا عِوَجٌ، وَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهَا، كَسَرْتَهَا وَكَسْرُهَا طَلَاقُهَا)**(3).

علم أنه لا ينبغي أن يكفر نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى عليه، فهو يعلم أن المرأة الصالحة نعمة من نعم الله كما في الحديث عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: **(الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ)**(4).

---

1 – **لَحَوْبٌ**: الإثم. جاء في مختار الصحاح ص (167): الحُوبُ بالضم والحَابُ الإثم.

2 – **ضعيف**. أخرجه الحاكم المستدرك على الصحيحين وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ (330/2) ح(3180) وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (253/14) ح(6606).

3 – أخرجه مسلم في صحيحه (1091/2) ح(1468).

4 – أخرجه مسلم في صحيحه (1090/2) ح(1467).

أتعلمون لماذا لم يقبل النبي ﷺ لهذا البيت العظيم أن تحدث فيه واقعة الطلاق(1)؛ لما يعلمه من آثار خطيرة مدمرة للأسرة المسلمة.

أستميحك أيّها القارئ عذرًا أن نتوقف هُنيهة؛ لنعلم ما هو أفضل عمل عند إبليس، بل إنه يُكرم الشيطان الذي يُنجز هذا الفعل لما جاء عنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ ﷺ: (**إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ " قَالَ الْأَعْمَشُ: أُرَاهُ قَالَ: فَيَلْتَزِمُه**(2))(3). وفي الحديث عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (**أَبْغَضُ الْحَلَالِ عِنْدَ اللَّهِ الطَّلَاقُ**)(4).

يقول صاحب **رد المحتار** رحمه الله: "وَأَمَّا الطَّلَاقُ فإن **الْأَصْلَ فِيهِ الْحَظْرُ**، بِمَعْنَى أَنَّهُ مَحْظُورٌ إلَّا لِعَارِضٍ يُبِيحُهُ... فَإِذَا كَانَ بِلَا سَبَبٍ أَصْلًا لَمْ يَكُنْ فِيهِ حَاجَةٌ إلى الْخَلَاصِ بَلْ يَكُونُ حُمْقًا وَسَفَاهَةَ رَأْيٍ وَمُجَرَّدَ كُفْرَانِ النِّعْمَةِ وَإِخْلَاصِ الْإِيذَاءِ بِهَا وَبِأَهْلِهَا وَأَوْلَادِهَا، وَلِهَذَا قَالُوا: إنَّ سَبَبَهُ الْحَاجَةُ إلى الْخَلَاصِ عِنْدَ تَبَايُنِ الْأَخْلَاقِ وَعُرُوضِ الْبَغْضَاءِ الْمُوجِبَةِ عَدَمَ إقَامَةِ حُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى، ... فَحَيْثُ تَجَرَّدَ عَنْ الْحَاجَةِ الْمُبِيحَةِ لَهُ شَرْعًا يَبْقَى عَلَى أَصْلِهِ مِنْ الْحَظْرِ، وَلِهَذَا قَالَ عز وجل: ﴿... **فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا** ﴿٣٤﴾﴾ (5) أَيْ لَا تَطْلُبُوا الْفِرَاقَ"(6).

---

1 –لمزيد من التفاصيل حول الطلاق وخطورته انظر؛ كتابي: حقي أن أكون مهاجرًا ص(25) وما بعدها.

2 – **فيلتزمه**: أي يضمه إلى نفسه ويعانقه.

3 – أخرجه مسلم في صحيحه (2167/4) ح(2813)

4 – **ضعيف**. أخرجه أبو داود في سننه (220/2) ح(2180).

5 –سورة النساء: من الآية 34.

6 – ابن عابدين/رد المحتار على الدر المختار (228/3).

أمّا أن تطلبه الزوجة –أي الطلاق– كلما شعرت بضيق أو حرج، أو كلما ضاقت الدنيا عليها، أو كلما منعها زوجها أن تشتري ما تطلب.... إلى غير ذلك من الأمور البسيطة فهذا منهي عنه، ويجب على المسلمة أن تهجر مثل هذا الطلب للحديث عَنْ ثَوْبَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (**أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا الطَّلَاقَ فِي غَيْرِ مَا بَأْسٍ**(1)، **فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ**)(2).

إن طلب الطلاق من المرأة من غير عذر من أكبر الأسباب التي تؤدي لتفكك المجتمع، وخراب البيوت، فالزوج لا يأمن متى ينقلب مزاج زوجته من الرضا إلى الغضب، ولا من السعادة إلى النكد، فهو قلق دائمًا من هدم عش الزوجية بيد زوجته لكثرة طلبها الطلاق.

وليستمع الزوج إلى نصيحة النبي ﷺ ووصيته في فن التعامل مع النساء إذا أراد الحفاظ على زوجته وأسرته: (**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ**) (3).

---

1 – **البأس**: الشدة.

2 – **صحيح**. أخرجه ابن ماجه في سننه (722/5) ح(3925).

3 – أخرجه البخاري في صحيحه (133/4) ح(3331).

أم سُليم رضي الله عنها تصبر على ضيق حال زوجها

مر معنا أيّها القارئ الكريم أن أبا طلحة رضي الله عنه كان من أغنى أغنياء أهل المدينة، وأن أم سُليم رضي الله عنها كانت في سعة من العيش، ولا شك أن الدنيا لا تبقى لأحد على حال، ولا شك أن الغنى والفقر ما هما إلا ابتلاء من الله ﷻ، وقديمًا قالوا: "**تُعرف المرأة عند فقر زوجها**"، وها هي رحى الأيام تدور، وتمر أوقات صعبة على هذه الأسرة المسلمة ولا يجدوا ما يفيض عن حاجة أولادهم(1)، فها هو أبو طلحة رضي الله عنه يستقبل ضيفًا من ضيوف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يجد طعام عشاء يقدمه له، جاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، (**أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ** صلى الله عليه وآله وسلم، **فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا إِلَّا المَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ** صلى الله عليه وآله وسلم **: مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ**(2)**: أَنَا، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ** صلى الله عليه وآله وسلم، **فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، فَقَالَ: هَيِّئِي طَعَامَكِ، وَأَصْبِحِي سِرَاجَكِ**(3)**، وَنَوِّمِي صِبْيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً، فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا، وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا، وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلاَ يُرِيَانِهِ**(4) **أَنَّهُمَا يَأْكُلاَنِ، فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ** صلى الله عليه وآله وسلم، **فَقَالَ: ضَحِكَ اللَّهُ**(5) **اللَّيْلَةَ، أَوْ عَجِبَ، مِنْ فَعَالِكُمَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ:** ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا

---

1 – مر معنا في الصفحات السابقة أن أم سُليم رضي الله عنها كانت تقدم الهدايا، وتصنع الطعام للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ويقوم بتقسيمه على أهل بيته رضي الله عنهم ؛ وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على كثرة المال والنعمة التي كانت تعيش فيها أم سُليم رضي الله عنها .

2 – **رجل**: هو أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري رضي الله عنه . وقد ورد اسمه صراحة في صحيح مسلم (1625/3) ح(2054).

3 – **أصبحي**: أوقدي ونوري.

4 – **يريانه**: من الإراءة أي يتظاهران بذلك.

5 – **ضحك**: أي رضي.

يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ(1) عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ(2) وَمَن يُوقَ(3) شُحَّ نَفْسِهِۦ(4) فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ ﴾(5)(6).

الله أكبر ما أعظم هذه التضحية وما أعظم هذا الصبر على قلة ذات اليد.

لله درك، وعلى الله أجرك.

ما شكت ولا بكت ولا ولولت، بل شكرت وذكرت وما كفرت، شكرت ربها على نعمه، وذكرت أيام الخير التي عاشتها مع زوجها، وما كفرت العشير.

وها هي في موطن آخر تصبر على عدم اصطحاب زوجها لها معه إلى الحج لعدم وجود وسيلة مواصلات تنقلها إلى بيت الله الحرام، كما جاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: (**جَاءَتْ أم سُليم إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، فَقَالَتْ: حَجَّ أَبُو طَلْحَةَ وَابْنُهُ وَتَرَكَانِي، فَقَالَ: يَا أم سُليم عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً**)(7).

كيف تكفر نعمة زوجها ولا تشكرها وهي التي تسعى جاهدة لدخول الجنة والبُعد عن النار، وتعلم أن كفر نعمة الزواج من الأسباب الموجبة لدخول النار.

كيف لا؟ وهي التي تعلم بحديث حبيبها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم الذي رواه أبو سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: (**خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى المُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ. فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ**(8)، **وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ**(1)، ...)(2)، ويؤكده حديث

---

1 – **يؤثرون**: يختارون ويفضلون.

2 – **خصاصة**: حاجة.

3 – **يوق**: يخالف هواها ويغلبها على ما أمرته بتوفيق الله وعونه من الوقاية وهي الحفظ.

4 – **شح نفسه**: البخل والحرص.

5 – سورة الحشر: الآية 9.

6 – أخرجه البخاري في صحيحه (34/5) ح(3798).

7 – **صحيح لغيره**. أخرجه ابن حبان في صحيحه (12/9) ح(3699).

8 – **تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ**: تتلفظن به كثيرا حال الدعاء على أحد واللعن هو الطرد والإبعاد عن الخير والرحمة.

ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: (أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ. قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟. قَالَ: يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ) (3).

تعلم أن كل جهد تبذله في بيتها من أجل زوجها وأولادها عليه من الأجر العظيم ما يساوي في الأجر أجر المجاهد في سبيل الله ﷻ، كما في حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: (جِئْنَ النِّسَاءُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم قُلْنَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَهَبَ الرِّجَالُ بِالْفَضْلِ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَفَمَا لَنَا عَمَلٌ نُدْرِكُ بِهِ عَمَلَ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: مِهْنَةُ إِحْدَاكُنَّ فِي بَيْتِهَا تُدْرِكُ عَمَلَ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ) (4).

والله لقد ذهبت النساء بالأجر العظيم، تجد إحداهن تقف طوال نهارها في المطبخ تطهو الطعام، وتغسل الثياب، وتنظف الأرضيات، وتتنقل في البيت كالنحلة من زهرة إلى زهرة، وما إن يُرخي الليل سدوله حتى تنشط من جديد وكأن التعب قد تبخر فهي تستعد لإسعاد زوجها ومن ثَمّ تنعكس هذه السعادة قطعًا على أهل بيتها.

---

1 – تَكْفُرْنَ العَشِيرَ: تجحدن نعمة الزوج وتنكرن إحسانه.

2 – أخرجه البخاري في صحيحه (68/1) ح(304).

3 – أخرجه البخاري في صحيحه (15/1) ح(29).

4 – ضعيف. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (176/11) ح(8368).

أم سُليم رضي الله عنها وحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم

أولًا: ابن أم سُليم رضي الله عنها خادمًا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

حسمت أم سُليم رضي الله عنها أمر ابنها أنس رضي الله عنه فيما يخص خدمته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأخذت ابنها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبينت ما فيه من مهاراتٍ تؤهله لهذه المكانة، وهذا العمل الجليل، يخبرنا أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه فيقول: (**أَخَذَتْ أم سُليم بِيَدِي مَقْدَمَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم الْمَدِينَةَ، فَأَتَتْ بِي رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا ابْنِي وَهُوَ غُلَامٌ كَاتِبٌ، قَالَ: فَخَدَمْتُهُ**)(1).

ثم أرادت أن تثبت وجود أنس في خدمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأمرت زوجها بصفته قائمًا على شئون هذا اليتيم وشقيقه البراء، من باب تقديم زوجها في المواطن التي ينبغي أن يتقدم فيها، رغم أنها هي صاحبة القرار لا زوجها(2)، يروي لنا ذلك أَنَس رضي الله عنه قَالَ: (**قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم المَدِينَةَ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَأَخَذَ أَبُو طَلْحَةَ بِيَدِي، فَانْطَلَقَ بِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَنَسًا غُلاَمٌ كَيِّسٌ فَلْيَخْدُمْكَ، قَالَ: فَخَدَمْتُهُ فِي السَّفَرِ وَالحَضَرِ، مَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَ هَذَا هَكَذَا؟ وَلاَ لِشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعْهُ لِمَ لَمْ تَصْنَعْ هَذَا هَكَذَا؟**)(3).

---

1 – **صحيح**. أخرجه الإمام أحمد في مسنده (275/19) ح(12250).

2 – بينما نرى للأسف الشديد كثيرًا من الزوجات تُقدم نفسها على زوجها في كثير من المواطن التي هو فيها صاحب الكلمة الأولى والأخيرة، مما تسبب له حرجًا كبيرًا بين أولاده وأهله، وجيرانه، وأقاربه، ومعارفه.

3 – أخرجه البخاري في صحيحه (11/4) ح(2768).

ثانيًا: أم سُليم رضي الله عنها وَعَرَق النبي صلى الله عليه وآله وسلم

استطاعت أم سُليم رضي الله عنها أن تجعل بيتها نموذجًا يقتدى به كل من يريد مرضاة الله سبحانه وتعالى، ودعونا نتوقف في هذه المحطة من قصة أم سُليم رضي الله عنها لنتحدث عن حبها وأهل بيتها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن ذلك ما جاء عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: **(أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم اضْطَجَعَ عَلَى نَطْعٍ، فَعَرِقَ، فَقَامَتْ أم سُليم إِلَى عَرَقِهِ فَنَشَّفَتْهُ، فَجَعَلَتْهُ فِي قَارُورَةٍ، فَرَآهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ يَا أم سُليم؟. قَالَتْ: أَجْعَلُ عَرَقَكَ فِي طِيبِي، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم)**(1).

ما الذي أقدمك على هذا الفعل يا أم سُليم رضي الله عنها؟.

إنه الحب، تعلم جيدًا من هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فترجو البركة التي لا توجد عند غيره، تهرول مسرعة إلى بيتها بعد معرفتها بنوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيتها، تدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو نائم، وترى قطرات من العرق تسيل على وجهه الشريف، إنها أغلى عندها من طيب الدنيا كله، فتسرع لتجمع هذه القطرات بقطعة من القماش –الخاصة بها– الذي تحتفظ به في صندوقها.

فيا تُرى هل تركته يجف؟.

لا والله، لقد قامت بعصره في قارورة ليكون عرق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شفاء تستشفي به وأولادها، ولتمزجه مع عطرها الخاص فيفوح أريج عرقه أزكى من أثمن عطر شُمَّ، صرحت بذلك في حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: **(كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يَدْخُلُ بَيْتَ أم سُليم فَيَنَامُ عَلَى فِرَاشِهَا**(2)**، وَلَيْسَتْ فِيهِ، قَالَ: فَجَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ فَنَامَ عَلَى فِرَاشِهَا، فَأُتِيَتْ فَقِيلَ لَهَا: هَذَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم نَامَ فِي بَيْتِكِ، عَلَى فِرَاشِكِ، قَالَ فَجَاءَتْ وَقَدْ عَرِقَ،**

---

1 – **صحيح**. أخرجه النسائي في سننه (218/8) ح(5371).

2 – كونها خالته من الرضاعة، كما جاء في بعض الأقوال التي ذكرها ابن حجر في فتح الباري (78/11).

وَاسْتَنْقَعَ عَرَقُهُ عَلَى قِطْعَةِ أَدِيمٍ، عَلَى الْفِرَاشِ، فَفَتَحَتْ عَتِيدَتَهَا(1) **فَجَعَلَتْ تُنَشِّفُ ذَلِكَ الْعَرَقَ فَتَعْصِرُهُ فِي قَوَارِيرِهَا، فَفَزِعَ**(2) **النَّبِيُّ** ﷺ **فَقَالَ: مَا تَصْنَعِينَ؟ يَا أُم سُلَيم. فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ نَرْجُو بَرَكَتَهُ لِصِبْيَانِنَا، قَالَ: أَصَبْتِ**)(3). هنيئًا لك يا أم سُليم هذا الحب، وهذا الفقه والفهم.

تريد أن تحتفظ بهذا العطر لزوجها وبيتها؛ لا كما تفعل كثير من النساء اللاتي لا يجد أزواجهن منهن إلا رائحة العرق وروائح الطعام التي علقت في ثيابها أثناء عملها في المطبخ.

لذلك من العجيب ألا تسارع المرأة إلى مس شيء من الطيب في بيتها عند جلوسها مع زوجها؛ بينما تجدها في أبهى صورة وأعطر رائحة ينتشر شذاها عند خروجها من بيتها(4) مع النهي الشديد عن مثل هذه التصرفات كما في الحديث عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (**أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ، وَكُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ**) (5). قال المباركفوري : لِأَنَّهَا هَيَّجَتْ شَهْوَةَ الرِّجَالِ بِعِطْرِهَا وَحَمَلَتْهُمْ عَلَى النَّظَرِ إِلَيْهَا وَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا فَقَدْ زَنَى بِعَيْنَيْهِ فَهِيَ سَبَبُ زِنَى الْعَيْنِ(6) فَهِيَ آثِمَةٌ"(1).

---

1 – **عتيدتها**: صندوق صغير تجعل المرأة فيه ما يعز من متاعها.

2 – **ففزع**: أي استيقظ من نومه.

3 – أخرجه مسلم في صحيحه (1815/4) ح(2331).

4 – ليس شرطًا أن يكون عطرًا هو الذي تفوح رائحته، فربما كانت بعض (الكريمات) أو (البودرة) هي صاحبة الرائحة فتأخذ نفس الحكم، وبعضهن–هدانا الله وإياهن–تضع ذلك على طفلها الذي تحمله.

5 – **حسن**. أخرجه ابن حبان في صحيحه (270/10) ح(4424).

6 – جاء في صحيح مسلم (2047/4) ح(2657) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (**كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا، مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الِاسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ**). قال الدهلوي في لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح(357/1): "(الفرج يصدق ذلك ويكذبه) كناية عن الإتيان بالزنا والإباء عنه، وإسناد التصديق والتكذيب إلى الفرج=

ثالثًا: أم سُليم رضي الله عنها وشَعر النبي صلى الله عليه وآله وسلم

وهنا تترجم لنا أم سُليم رضي الله عنها حبها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بطريقة جديدة كما جاء في الحديث عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: **(لَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم أَنْ يَحْلِقَ الْحَجَّامُ رَأْسَهُ، أَخَذَ أَبُو طَلْحَةَ بِشَعْرِ أَحَدِ شِقَّيْ رَأْسِهِ بِيَدِهِ، فَأَخَذَ شَعَرَهُ، فَجَاءَ بِهِ إِلَى أم سُليم، قَالَ: فَكَانَتْ أم سُليم تَدُوفُهُ(2) فِي طِيبِهَا)**(3).

ما أعظم حبك لرسولك صلى الله عليه وآله وسلم يا أم سُليم؟، ألم تكتف بعرق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتخلطيه في عطرك، بل فعلت بشعره ما فعلت بعرقه؟.

أي حب أعظم من هذا الحب؟.

ومن الذي أعانك على هذا الحب؟، إنه التنافس بينك وبين زوجك كما قال مولانا عز وجل: ﴿...وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

أتظنون أن أم سُليم رضي الله عنها ترغب بالشعر لتصنع منه (باروكة) لتضعه على شعر رأسها لتصل به شعرها(4)؛ لتتفاخر على النساء بطول شعرها.

كيف تفعل ذلك؟ وهي تعلم أن من فعلت ذلك لعنها الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم كما في الحديث عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: **(لَعَنَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم الوَاصِلَةَ وَالمُسْتَوْصِلَةَ، وَالوَاشِمَةَ وَالمُسْتَوْشِمَةَ)**(5).

=مجازي، هذا كلامهم، ويدل ظاهرًا على أن المراد كتب على كل أحد من بني آدم حظه من الزنا، لكن الله يعصم من يشاء ويجعله لممًا في حق بعض، ويجعله كبيرة في حق بعض آخر".

1 – المباركفوري/ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (58/8).

2 – **تدوفه**: تخلطه.

3 – **صحيح**. أخرجه الإمام أحمد في مسنده (466/19) ح(12483).

4 – **للمزيد** راجع كتابي "حقي أن أكون مهاجرًا" ص(102) وما بعدها.

5 – أخرجه البخاري في صحيحه (166/7) ح(5940) .

رابعًا: أم سُليم رضي الله عنها وأثر فم النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ها هي أم سُليم رضي الله عنها تضرب لنا مثالًا ثالثًا توضح لنا من خلاله الحب الحقيقي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تروي ذلك بنفسها فتقول: (**دَخَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم عَلَيْنَا وَقِرْبَةٌ مُعَلَّقَةٌ فِيهَا مَاءٌ فَشَرِبَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم قَائِمًا مِنْ فِي الْقِرْبَةِ، فَقَامَتْ أم سُليم إِلَى فِي الْقِرْبَةِ فَقَطَعَتْهُ**)(1).

هنيئًا لك يا أم سُليم، يشرب في بيتك النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومن قربتك، فهل اكتفيت بهذا الشرف؟.

لا والله لم تكتف. بل قامت إلى فم القربة فقطعته حتى يكون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم آخر الشاربين منها كما في الحديث عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: (**دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم بَيْتَنَا، وَقِرْبَةٌ مُعَلَّقَةٌ، فَشَرِبَ مِنْهَا وَهُوَ قَائِمٌ، فَقَامَتْ أُمِّي، فَقَطَعَتْ فَمَ الْقِرْبَةِ، وَقَالَتْ: لَا يَشْرَبُ مِنْهَا أَحَدٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم**)(2).

تعلم أم سُليم رضي الله عنها مدى حب زوجها أبي طلحة رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأن زيارته لبيتهم شرف عظيم لا يناله أيّ أحد، وتعلم في الوقت نفسه أن الإسلام لم يسمح للمرأة أن يدخل بيتها أي أحد يكرهه زوجها مهما كانت درجة القرابة بين هذه المرأة وهذا الزائر كما في الحديث عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الأَحْوَصِ قَالَ: (حَدَّثَنِي أَبِي، أَنَّهُ شَهِدَ حَجَّةَ الوَدَاعِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَذَكَّرَ، وَوَعَظَ، فَذَكَرَ فِي الحَدِيثِ قِصَّةً، فَقَالَ: أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ(3)، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ، إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي

---

1 – **صحيح**. أخرجه الإمام أحمد في مسنده (416/45) ح(27428)، وصححه الألباني في مختصر الشمائل ص (115) ح(183) – محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ) –**مختصر الشمائل المحمدية** –الناشر: المكتبة الإسلامية – عمان – الأردن – تحقيق: اختصره وحققه محمد ناصر الدين الألباني.

2 – أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (204/1) ح(654).

3 – **عَوَانٌ عِنْدَكُمْ**: أَسْرَى فِي أَيْدِيكُمْ.

المَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا، أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، **فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلَا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ**، أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ). قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.(1).

لذلك يجب على الزوجة أن تحذر من إدخال بيت زوجها من يكره، سواء كانوا أقاربها أم جيرانها من النساء، فكم من امرأة هدمت بيتها عندما لم تراع مشاعر زوجها الذي يرى في دخول إحدى الجارات مفسدة لأسرته، ثم يتفاجأ باستضافتها لها في بيتها ضاربة بأوامر زوجها عرض الحائط.

كما يجب عليها أن تحذر من إدخال بيتها من هم أجانب عنها في غياب زوجها لنهي النبي صلى الله عليه وآله وسلم الشديد عن ذلك كما جاء في الحديث عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: (**إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ**(2)**؟ قَالَ: الحَمْوُ المَوْتُ**(3)) (4).

ولخطورة خلوة المرأة بالرجل الأجنبي نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن خروج المرأة من غير ذي محرم حتى لو كان للحج أو الجهاد في سبيل الله كما في الحديث عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: (**لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ. فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَّةً، وَاكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: ارْجِعْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ**).

---

1 – **حسن**. أخرجه الترمذي في سننه (459/3) ح(1163).

2 – **الحَمْوَ**: أقارب الزوج من غير المحارم كالأخ والعم والخال وأبنائهم.

3 – **الحَمْوُ المَوْتُ**: لقاؤه الهلاك؛ لأن دخوله أخطر من دخول الأجنبي وأقرب إلى وقوع الجريمة، لأن الناس يتساهلون بخلطة الرجل بزوجة أخيه والخلوة بها فيدخل بدون نكير فيكون الشر منه أكثر والفتنة به أمكن.

4 – أخرجه البخاري في صحيحه (37/7) ح(5232).

كم من بيوت ملتزمة مستورة هُتك سترها، وتفككت أواصر المحبة بين أفرادها بسبب هذا التساهل في الدخول والخروج دون هذه الضوابط الشرعية التي ما وجدت إلا للحفاظ على هذه الأسر من الضياع؟.

أصبحنا نسمع عن علاقات محرمة بين النساء ومن هم أقرب الناس إليها حتى سرت إلينا قذارة الغرب من زنا المحارم وانتهاك حرمة البيوت من أقارب الزوج.

أصبحنا نقرأ على الشبكة العنكبوتية قصصًا يندى لها الجبين عن امرأة دخلت في علاقة مع والد زوجها، أو أخيه، أو صديقه المقرب، كل ذلك لأننا رغبنا بتقليد الغرب الكافر بتقاليده الساقطة، ثم ترى الندم باديًا على هذه المرأة بعد وقوعها في مستنقع الرذيلة في وقت لا ينفع فيه الندم، ولقد حذرنا النبي ﷺ من تقليدهم في مخازيهم كما في الحديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **(لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ(1) مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ(2)، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: اليَهُودَ، وَالنَّصَارَى قَالَ: فَمَنْ)**(3).

لذلك العفة والحشمة هما عماد البيوت والمسئولية في ذلك واقعة على كاهل الزوجة كما الزوج، فهي مطالبة بالحفاظ على أسرتها من كل المخاطر كما في الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(كُلُّكُمْ رَاعٍ فَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)** (4).

---

1 – **سَنَنَ**: سبل ومناهج وعادات.

2 – **شِبْرًا بِشِبْرٍ**: كناية عن شدة الموافقة لهم في عاداتهم رغم ما فيها من سوء وشر ومعصية لله تعالى ومخالفة لشرعه.

3 – أخرجه البخاري في صحيحه (169/4) ح(3456).

4 – أخرجه البخاري في صحيحه (150/3) ح(2554).

خامسًا: أم سُليم رضي الله عنها وهداياها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم

كانت أم سُليم رضي الله عنها حريصة بعد أن أغناها الله من فضله، أن تتفقد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين الفينة والأخرى لما تعلمه جيدًا من فقر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحاجة بيوت أزواجه -رضي الله عنهن- إلى مثل هذه الهدايا، تعلم أن رسولها الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم كان يعاني من فقر شديد، فكانت تشاركه بعض الهدايا لتخفف من وطأة الجوع عليه وعلى أهل بيته الشريف -رضي الله عنهن- كما جاء في الحوار الذي دار بين عروة رضي الله عنه وبين خالته عائشة رضي الله عنها كما جاء في حديث عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: (**أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ: ابْنَ أُخْتِي، إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الهِلاَلِ، ثُمَّ الهِلاَلِ، ثَلاَثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم نَارٌ، فَقُلْتُ يَا خَالَةُ: مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ(1).؟ قَالَتْ: الأَسْوَدَانِ(2).: التَّمْرُ وَالمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم جِيرَانٌ مِنَ الأَنْصَارِ، كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ(3).، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم مِنْ أَلْبَانِهِمْ، فَيَسْقِينَا**)(4).

كيف لامرأة لها مثل هذا الحس المرهف أن تغفل عن جوع حبيبها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وهي التي سمعته بأم أذنها يُصبّر رجلًا على الفقر كما روت هي لنا ذلك قَالَتْ: (**كُنْتُ فِي بَعْضِ حُجَرِ نِسَاءِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، وَهُوَ عِنْدَهُ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ، فَشَكَا إِلَيْهِ الْحَاجَةَ، فَقَالَ: اصْبِرْ فَوَاللهِ مَا فِي آلِ مُحَمَّدٍ شَيْءٌ مُنْذُ سَبْعٍ، وَلَا أُوقِدَ تَحْتَ بُرْمَةٍ لَهُمْ مُنْذُ ثَلَاثٍ، وَاللهِ لَوْ سَأَلْتُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ جِبَالَ تِهَامَةَ كُلَّهَا ذَهَبًا لَفَعَلَ**)(5).

---

1 - **يعيشكم**: يقيتكم من الطعام.

2 - **الأسودان**: غلب التمر على الماء فقيل أسودان وكان الغالب في تمر المدينة الأسود.

3 - **منائح**: جمع منيحة. وهي الشاة أو الناقة التي تعطي للغير ليحلبها وينتفع بلبنها ثم يردها على صاحبها وقد تكون عطية مؤبدة بعينها ومنافعها كالهبة.

4 - أخرجه البخاري في صحيحه (153/3) ح(2567).

5 - أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (121/25) ح(295).

لم تكن ممن يكثر كلامه ويقل فعله، بل كان فعلها دومًا يسبق قولها، كما في الحديث عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: (**أَنَّ أم سُليم بَعَثَتْ بِقِنَاعٍ**(1) **فِيهِ رُطَبٍ إِلَى** صلى الله عليه وآله وسلم، **فَجَعَلَ يَقْبِضُ الْقَبْضَةَ، فَيَبْعَثُ بِهَا إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ، ثُمَّ يَقْبِضُ الْقَبْضَةَ، فَيَبْعَثُ بِهَا إِلَى أَزْوَاجِهِ، ثُمَّ يَبْعَثُ بِهَا وَإِنَّهُ لَيَشْتَهِيهِ، فَعَلَ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ وَإِنَّهُ لَيَشْتَهِيهِ**)(2).

اعلم أن أم سُليم رضي الله عنها ما كانت لتقدم ما تقدمه من هدايا من مال أبي طلحة دون إذن زوجها وموافقته؛ فهي تعلم أنها لو أعطت من بيتها شيئًا دون إذنه فهي آثمة ولزوجها الأجر كما جاء في الحديث عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم (أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْهُ، فَقَالَتْ: مَا حَقُّ الزَّوْجِ عَلَى امْرَأَتِهِ؟ فَقَالَ: لَا تَمْنَعُهُ نَفْسَهَا وَإِنْ كَانَتْ عَلَى ظَهْرِ قَتَبٍ، **وَلَا تُعْطِي مِنْ بَيْتِهِ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَإِنْ فَعَلَتْ ذَلِكَ كَانَ لَهُ الْأَجْرُ وَعَلَيْهَا الْوِزْرُ**، وَلَا تَصُومُ تَطَوُّعًا إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَإِنْ فَعَلَتْ أَثِمَتْ، وَلَمْ تُؤْجَرْ، وَأَنْ لَا تَخْرُجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَإِنْ فَعَلَتْ لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ مَلَائِكَةُ الْغَضَبِ وَمَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ حَتَّى تَتُوبَ أَوْ تُرَاجِعَ. قِيلَ: وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا؟ قَالَ: وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا) (3).

لقد سرى حب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في العائلة كلها، فها هو أنس يضرب لنا مثالًا عجيبًا في حبه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يروي لنا قصة حبه أخوه من أمه عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه يَقُولُ: (**إِنَّ خَيَّاطًا دَعَا رَسُولَ اللَّهِ** صلى الله عليه وآله وسلم **لِطَعَامٍ صَنَعَهُ، قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: فَذَهَبْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ** صلى الله عليه وآله وسلم **إِلَى ذَلِكَ الطَّعَامِ، فَقَرَّبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ** صلى الله عليه وآله وسلم **خُبْزًا وَمَرَقًا**(4)، **فِيهِ دُبَّاءٌ**(5) **وَقَدِيدٌ**(6)، **فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ** صلى الله عليه وآله وسلم

---

1 – **بِقِنَاعٍ**: طبق.

2 – **صحيح**. أخرجه ابن حبان في صحيحه (469/2) ح(695).

3 – **ضعيف**. لأخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (457/3) ح(2063).

4 – **مرقًا**: كل طعام طبخ بماء.

5 – **دباء**: القرع واليقطين.

6 – **قديد**: لحم مجفف.

يَتَتَبَّعُ الدُّبَّاءَ مِنْ حَوَالَيِ(1) القَصْعَةِ، قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أُحِبُّ الدُّبَّاءَ مِنْ يَوْمِئِذٍ)(2).

أتظنون أنسًا رضي الله عنه يفعل ذلك جبرًا من أجل أمه؟. لا والله، إنه يفعل ذلك حبًا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد شرب حب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أمه حتى ارتوى، فصار يحب كل ما يحبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى لو لم يحبه قبل ذلك.

إنها العائلة كاملة، الزوج، والزوجة، والأولاد، كلهم قدّموا نماذج رائعة في الحب والتضحية.

فيا هل ترى اكتفت أم سُليم رضي الله عنها بهذه الأمثلة العجيبة التي ضربتها في حب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟.

---

1 – حوالي: جوانب.

2 – أخرجه البخاري في صحيحه (61/3) ح(2092).

سادسًا: أم سُليم رضي الله عنها والمكان الذي صلَّى فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم

حقًّا لقد كان في كل حدث من أحداث حياتها أمر عجيب، وها هي ترغب في الصلاة في مكان صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكيف تصطف في نفس المكان الذي يصطف فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين يدي ربه سبحانه وتعالى، أنَّى لها بهذه المزية، فأفصحت عما يجوش في صدرها، وأرسلت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم تخبره بها، ودومًا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقابل الحب بالحب، فحضر إلى بيتها واختارت أم سُليم رضي الله عنها المكان وفرشت الحصير فصلى بهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم واتخذت مكان صلاته مصلاها الذي تناجي فيه ربها في المكان الذي صلى فيه نبيها صلى الله عليه وآله وسلم، يروي لنا ذلك فلذة كبدها أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه: **(أَنَّ أم سُليم سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم أَنْ يَأْتِيَهَا فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهَا فَتَتَّخِذَهُ مُصَلًّى، فَأَتَاهَا فَعَمِدَتْ إِلَى حَصِيرٍ فَنَضَحَتْهُ بِمَاءٍ، فَصَلَّى عَلَيْهِ وَصَلَّوْا مَعَهُ)**(1).

ولم تكن مرة واحدة(2). هي التي حظيت بها أم سُليم رضي الله عنها فقد وردت رواية تدلل على ذلك عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: **(صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم عَلَى بِسَاطٍ فَأَقَامَنِي، عَنْ يَمِينِهِ، وَقَامَتْ أم سُليم، وَأُمُّ حَرَامٍ خَلْفَنَا)**(3).

هذه الصلاة لم تكن يومًا سببًا في تقصير أم سُليم رضي الله عنها في واجباتها تجاه زوجها وبيتها؛ بل دافعًا لها. كيف تفعل ذلك وهي تسمع حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **(اثْنَانِ لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمَا رُءُوسَهُمَا: ...، وَامْرَأَةٌ عَصَتْ زَوْجَهَا حَتَّى تَرْجِعَ)**؟(4).

---

1 – **صحيح**. أخرجه النسائي في صحيحه (56/2) ح(737).

2 – قال ابن حبان في صحيحه (584/5). "قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رحمه الله: فِي هَذَا الْخَبَرِ بَيَانٌ وَاضِحٌ أَنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ خِلَافُ الصَّلَاةِ الَّتِي حَكَاهَا إِسْحَاقُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَنَسٍ، لِأَنَّ فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ قَامَ أَنَسٌ وَالْيَتِيمُ مَعَهُ خَلْفَ الْمُصْطَفَى صلى الله عليه وآله وسلم وَالْعَجُوزُ وَحْدَهَا وَرَاءَهُمْ وَكَانَتْ صَلَاتُهُمْ تِلْكَ عَلَى حَصِيرٍ وَهَذِهِ الصَّلَاةُ قَامَ أَنَسٌ عَنْ يَمِينِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وَأُمُّ سُلَيْمٍ وَأُمُّ حَرَامٍ رضي الله عنها خَلْفَهُمَا وَكَانَتْ صَلَاتُهُمْ عَلَى بِسَاطٍ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُمَا صَلَاتَانِ لَا صَلَاةً وَاحِدَةً".

3 – **صحيح**. أخرجه ابن حبان في صحيحه (584/5) ح(2207).

4 – **صحيح**. أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (289/1) ح(478).

سابعًا: أم سُليم رضي الله عنها مُزينة زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم

عَنْ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ صُهَيْبٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم غَزَا خَيْبَرَ، فَصَلَّيْنَا عِنْدَهَا صَلاَةَ الغَدَاةِ(1) بِغَلَسٍ(2)، فَرَكِبَ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَرَكِبَ أَبُو طَلْحَةَ، وَأَنَا رَدِيفُ(3) أَبِي طَلْحَةَ، فَأَجْرَى(4) نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم فِي زُقَاقِ (5) خَيْبَرَ(6)، وَإِنَّ رُكْبَتِي لَتَمَسُّ فَخِذَ نَبِيِّ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، ثُمَّ حَسَرَ الإِزَارَ عَنْ فَخِذِهِ حَتَّى إِنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ فَخِذِ نَبِيِّ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَلَمَّا دَخَلَ القَرْيَةَ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ(7) إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ(8) قَوْمٍ ﴿... فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ١٧٧﴾(9). قَالَهَا ثَلاَثًا، قَالَ: وَخَرَجَ القَوْمُ إِلَى أَعْمَالِهِمْ، فَقَالُوا: مُحَمَّدٌ(10)، قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا: وَالخَمِيسُ - يَعْنِي الجَيْشَ - قَالَ: فَأَصَبْنَاهَا عَنْوَةً(11)، فَجُمِعَ السَّبْيُ، فَجَاءَ دِحْيَةُ الكَلْبِيُّ رضي الله عنه، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَعْطِنِي جَارِيَةً مِنَ السَّبْيِ، قَالَ: اذْهَبْ فَخُذْ جَارِيَةً، فَأَخَذَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَعْطَيْتَ دِحْيَةَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ، سَيِّدَةَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ، لاَ تَصْلُحُ إِلَّا لَكَ، قَالَ: ادْعُوهُ بِهَا. فَجَاءَ بِهَا،

---

1 - الغداة: الصبح.

2 - بغلس: ظلمة آخر الليل أي مبكرًا.

3 - رديف: راكب خلفه.

4 - فأجرى: أي مركوبه.

5 - زقاق: هو السكة والطريق.

6 - خيبر: غزوة خيبر ووادي القرى كانت في المحرم سنة 7 هـ انظر؛ المباركفوري/الرحيق المختوم ص: (333).

7 - خربت: فتحت.

8 - بساحة: ناحية وجهة.

9 - سورة الصافات: من الآية 177.

10 - فقالوا محمد: أي جاء محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

11 - عنوة: قهرًا في عنف أو صلحًا في رفق، فهي من الألفاظ التي تستعمل في الشيء وضده. وقيل: إن خيبر فتح بعضها صلحًا وبعضها قهرًا.

فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: خُذْ جَارِيَةً مِنَ السَّبْيِ غَيْرَهَا(1)، قَالَ: فَأَعْتَقَهَا النَّبِيُّ ﷺ وَتَزَوَّجَهَا، فَقَالَ لَهُ ثَابِتٌ: يَا أَبَا حَمْزَةَ، مَا أَصْدَقَهَا(2)؟ قَالَ: نَفْسَهَا، أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالطَّرِيقِ، جَهَّزَتْهَا لَهُ أم سُلَيم، فَأَهْدَتْهَا(3) لَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَأَصْبَحَ النَّبِيُّ ﷺ عَرُوسًا، فَقَالَ: مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيَجِيء بِهِ. وَبَسَطَ نِطَعًا(4)، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالتَّمْرِ، وَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالسَّمْنِ، قَالَ: وَأَحْسِبُهُ قَدْ ذَكَرَ السَّوِيقَ(5)، قَالَ: فَحَاسُوا حَيْسًا(6)، فَكَانَتْ وَلِيمَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)(7)

ما أبرعك يا أم سُليم رضي الله عنها.

حتى في تزيين العروس لزوجها كانت لك يد، ما تركت عملًا تختص به النساء إلا كنت متقدمة على من سواك من النساء.

إن اللمسة الفنية لمساحيق التجميل تُضفي على المرأة جمالًا، وتجذب انتباه الزوج لاستعداد زوجته لاحتواء رغبته.

إن استقبال المرأة لزوجها وهي في أبهى صورة، وأطيب رائحة، هي الترجمة العملية للحب والعشق والهيام الذي تحمله الزوجة في قلبها لشريك حياتها.

أما المرأة التي لا تعرف مساحيق الزينة، أو التي لا تستعملها إلا خارج بيت الزوجية، فهي التي تركت الجمال للشيطان بابًا ليدق أول مسمار في نعش السعادة الزوجية.

---

1 – أخذ النبي ﷺ لصفية من دحية لدفع مفسدة تمييز أحد الجنود عن بقية الجيش، وقد أعطاه النبي ﷺ بدلًا عنها سبعة رؤوس من السبي تطييبًا لخاطره، ولما فيه حفاظًا على كرامته من استعلاء ابنة زعيم خيبر عليه. **انظر**؛ النووي/ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (220/9).

2 – **ما أصدقها:** ماذا أعطاها مهرًا.

3 – **فأهدتها:** زفتها.

4 – **نطعًا:** هو ثوب متخذ من جلد يوضع عليه الطعام أو غيره.

5 – **السويق:** الدقيق.

6 – **حسيًا:** هو الطعام المتخذ من التمر والسمن والأقط أو الدقيق

7 – أخرجه البخاري في صحيحه (83/1) ح(371).

ثامنًا: أم سُليم رضي الله عنها تخطِب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

لقد مر معنا ما كانت تتمتع به أم سُليم رضي الله عنها من حظ وافر من الذكاء والفطنة، مما أهَّلَهَا أن يوكل لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم مهمة خاصة، فها هي تُرسل من قِبَلِه صلى الله عليه وآله وسلم في مهمة شخصية لمعرفة صفات العروس التي يرغب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالارتباط بها؛ لما يعلمه من أمانة في أداء هذه المهمة الخاصة عند أم سُليم رضي الله عنها كما جاء في الحديث عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: (**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم إِذَا أَرَادَ خِطْبَةَ امْرَأَةٍ بَعَثَ أم سُليم تَنْظُرُ إِلَيْهَا، فَشَمَّتْ أَعْطَافَهَا**(1)**، وَنَظَرَتْ إِلَى عَرَاقِيبَهَا**(2))(3).

وفي رواية عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم أَرْسَلَ أم سُليم تَنْظُرُ إِلَى جَارِيَةٍ، فَقَالَ: (**شُمِّي عَوَارِضَهَا**(4)**، وَانْظُرِي إِلَى عُرْقُوبَيْهَا**)(5).

تخيلوا معي مدى ثقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهذه المرأة؛ حيث أوكل إليها مهمة في أخص خصوصياته ، وقد أعطاها أوامر محددة ينبغي التحقق منها عند ذهابها لأداء هذه المهمة الشاقة، وهي معرفة مواطن رائحة الفم والإبط، وكذلك التحقق من عرقوبها لما له دلالة على نعومة، ورشاقة، وخصوبة، وصحة هذه المرأة المراد خِطبتها.

يا لها من مهمة شاقة.

ترُاك كيف أديتها يا أم سُليم؟.

لا شك أنها أدتها ببراعة، يروي لنا ذلك أَنَس رضي الله عنه: (**أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم أَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأَةً، فَبَعَثَ بِامْرَأَةٍ لِتَنْظُرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: شُمِّي عَوَارِضَهَا وَانْظُرِي إِلَى عُرْقُوبَيْهَا. قَالَ:**

---

1 – **أَعْطَافَهَا**: الإبط. قال الأزهري: "مَنكِب الرجل عِطْفه وإبْطُه عِطْفُه والعُطوف الآباطُ وعِطْفا الرجل والدابة جانباه عن يمين وشمال وشِقَّاه من لَدُنْ رأْسه وَرِكه". انظر؛ ابن منظور/لسان العرب (249/9).

2 – **عَرَاقِيبَهَا**: والعرقوبان: عَصَبان غليظان فوق عقبي الإنسان.

3 – أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (204/6) ح(6195).

4 – **عَوَارِضَهَا**: العوارض: الأسنان التي في عُرْض الفم، وهي ما بين الثنايا والأضراس، واحدها: عارضٌ. أمرها بذلك لتعرف به نكهتَها وريح فمها أطيِّب أم خبيث.

5 – أخرجه الإمام أحمد في مسنده (105/21) ح(13424).

فَجَاءَتْ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا: أَلَا نُغَدِّيكِ يَا أُمَّ فُلَانٍ؟ قَالَتْ: لَا آكُلُ إِلَّا مِنْ طَعَامٍ جَاءَتْ بِهِ فُلَانَةُ. قَالَ: فَصَعِدَتْ فِي رَفٍّ لَهُمْ، فَنَظَرْتُ إِلَى عُرْقُوبَيْهَا، ثُمَّ قَالَتْ: قَبِّلِينِي يَا بُنَيَّةُ قَالَ: فَجَعَلَتْ تُقَبِّلُهَا وَهِيَ تَشُمُّ عَارِضَهَا قَالَ: فَجَاءَتْ فَأَخْبَرَتْ) (1).

فلك أن تتخيل ما صنعته هذه المرأة لتكمل المهمة على الوجه الأكمل.

ولك أن تتخيل أيضًا مدى الحب لرسول الله ﷺ الذي دفعها للقيام بذلك.

1 - أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (139/7) ح(13501).

أم سُليم رضي الله عنها وطلب العلم والعمل به

أتُراك يا أم سُليم رضي الله عنها قد أشغلك الزوج والأولاد والأسرة عن طلب العلم؟.

أتراك عندما انخرطت في صفوف العمل الجهادي المقاوم لقوى الاستكبار في الأرض نسيت حظك من طلب العلم الشرعي؟(1).

لا والله. فلقد كانت أم سُليم رضي الله عنها طالبة علم حريصة على معرفة كل ما يهمها من أمر دينها، روت عن الحبيب المصطفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **أربعة عشر** حديثًا، روى عنها ابنها أَنس وابن عباس، وزيد بن ثابت، وأبو سلمة بن عبد الرحمن وآخرون(2).

ولقد كانت تسأل ما تستحي أن تسأل عنه غيرها من النساء، لعلمها أن هذا الدين ضاع ما بين الحياء والكِبْر، كما قَالَ مُجَاهِدٌ رحمه الله: "**لاَ يَتَعَلَّمُ العِلْمَ مُسْتَحْيٍ وَلاَ مُسْتَكْبِرٌ**"(3)..

وَلقد مدحت أمنا عَائِشَةُ رضي الله عنها هذه الصفة في نساء الأنصار رضي الله عنهن فقالت فيهن: "**نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ لَمْ يَمْنَعْهُنَّ الحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ**"(4). فكانت أم سُليم رضي الله عنها يحدوها طلب الزيادة من العلم امتثالًا لأمر ربها عز وجل: ﴿...وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾(5). وتنطق بالسؤال وهي تعلم أنه لا حرج في توجيهه مستدلة بقول الله عز وجل: ﴿...وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ...﴿٧٨﴾﴾(6).

---

1 – سيأتي الحديث لاحقًا عن أم سُليم رضي الله عنها والجهاد في سبيل الله عز وجل.

2 – الكرماني/الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (159/2)، وقد ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء (534/3) أنها رَوَتْ: أَرْبَعَةَ عَشَرَ حَدِيْثاً اتَّفَقَا لَهَا عَلَى حديث وانفرد البخاري بحديث ومسلم بحديثين.

3 – البخاري/صحيح البخاري (38/1).

4 – البخاري/صحيح البخاري (38/1).

5 – سورة طه: من الآية 114.

6 – سورة الحج: من الآية 78.

ها هي أم المؤمنين أُمّ سَلَمَةَ رضي الله عنها تروي لنا طلب أم سُليم رضي الله عنها للعلم فتقول: (**جَاءَتْ أم سُليم إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ**(1)، **فَهَلْ عَلَى المَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ إِذَا احْتَلَمَتْ**(2)؟. **قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: إِذَا رَأَتِ المَاءَ**(3). **فَغَطَّتْ أُمُّ سَلَمَةَ، تَعْنِي وَجْهَهَا، وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَ تَحْتَلِمُ المَرْأَةُ**(4)؟. **قَالَ: نَعَمْ، تَرِبَتْ يَمِينُكِ**(5)، **فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا**(6))(7).

بل صرحت أم سُليم رضي الله عنها في رواية أخرى بأن السؤال محرج جدًا؛ لكنه علم لا بد منه، فقالت: (**جَاءَتْ أم سُليم بِنْتُ مِلْحَانَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ، فَهَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ، -تَعْنِي غُسْلاً-، إِذَا هِيَ رَأَتْ فِي الْمَنَامِ مِثْلَ مَا يَرَى الرَّجُلُ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِذَا هِيَ رَأَتِ الْمَاءَ فَلْتَغْتَسِلْ، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: قُلْتُ لَهَا: فَضَحْتِ النِّسَاءَ يَا أم سُليم**(8)). قال الترمذي: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ" (9).

بل لقد استحيت من الإجابة كما في رواية أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه يحدث عن أمه قائلًا: (**أَنَّ أم سُليم، حَدَّثَتْ أَنَّهَا سَأَلَتْ نَبِيَّ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم عَنِ الْمَرْأَةِ تَرَى فِي مَنَامِهَا مَا يَرَى الرَّجُلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: إِذَا رَأَتْ ذَلِكَ الْمَرْأَةُ فَلْتَغْتَسِلْ. فَقَالَتْ أم سُليم:**

---

1 – **لا يستحيي من الحق:** لا يمتنع من بيان الحق، وإنما قدمت ذلك اعتذارًا عن سؤالها؛ فإنه مما يستحيي منه.

2 – **احتلمت:** رأت في منامها أنها تُجَامَع.

3 – **رأت الماء:** رأت على ثوبها المني إذا استيقظت.

4 – **وتحتلم المرأة؟:** أي يخرج منها ماء كماء الرجل؟.

5 – **تربت يمينك:** افتقرت ولصقت بالتراب ويقال هذا مداعبة لا على إرادة المعنى الظاهر، والعرب تطلق أمثال ذلك في مخاطباتهم للتعجب والتنبيه.

6 – **فيم يشبهها ولدها:** أي إذا لم يكن لها ماء فمن أين يأتي شبه الولد بها.

7 – أخرجه البخاري في صحيحه (38/1) ح(130).

8 – **فَضَحْتِ النِّسَاءَ:** "إنما قالت أم سلمة ما قالت؛ لأنهن يستحيين منه؛ لأن خروجه منهن يدل عَلَى قوة شهوتهن، أو لأنه يقل فيهن". ذكره ابن الملقن في التوضيح لشرح الجامع الصحيح(3/666).

9 – **صحيح**. أخرجه الترمذي في سننه (209/1) ح(122).

وَاسْتَحْيَيْتُ مِنْ ذَلِكَ، قَالَتْ: وَهَلْ يَكُونُ هَذَا؟ فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: نَعَمْ، فَمِنْ أَيْنَ يَكُونُ الشَّبَهُ؟. إِنَّ مَاءَ الرَّجُلِ غَلِيظٌ أَبْيَضُ، وَمَاءَ الْمَرْأَةِ رَقِيقٌ أَصْفَرُ، فَمِنْ أَيِّهِمَا عَلَا، أَوْ سَبَقَ، يَكُونُ مِنْهُ الشَّبَهُ(1))(2).

وفي رواية أخرى يُثني النبي صلى الله عليه وآله وسلم على سؤال أم سُليم رضي الله عنها وأنها كانت محقة بطرح السؤال يحدّث بذلك أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: (جَاءَتْ أم سُلَيم، إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فَقَالَتْ لَهُ، وَعَائِشَةُ عِنْدَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، الْمَرْأَةُ تَرَى مَا يَرَى الرَّجُلُ فِي الْمَنَامِ، فَتَرَى مِنْ نَفْسِهَا مَا يَرَى الرَّجُلُ مِنْ نَفْسِهِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا أم سُلَيم، فَضَحْتِ النِّسَاءَ، تَرِبَتْ يَمِينُكِ، فَقَالَ لِعَائِشَةَ: بَلْ أَنْتِ، فَتَرِبَتْ يَمِينُكِ، نَعَمْ، فَلْتَغْتَسِلْ يَا أم سُلَيم، إِذَا رَأَتْ ذَاكَ)(3).

قد وضعت الخطوط العريضة لهذه المسألة، فهي محسومة عندها قديمًا صرّحت بذلك قائلة: "إِنِّي لَنْ أَدَعَ أَمْرًا يُفَقِّهُنِي فِي دِينِي، وَيُقَرِّبُنِي مِنَ اللهِ أَنْ أَسْأَلَ عَنْهُ"(4).

وفي موطن آخر تطلب أن تتعلم علمًا جديدًا، كما في حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: (أَنَّ أم سُلَيم، غَدَتْ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم. فَقَالَتْ: عَلِّمْنِي كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي صَلَاتِي، فَقَالَ: كَبِّرِي اللَّهَ عَشْرًا، وَسَبِّحِي اللَّهَ عَشْرًا، وَاحْمَدِيهِ عَشْرًا، ثُمَّ سَلِي مَا شِئْتِ، يَقُولُ: نَعَمْ نَعَمْ) قال أبو عيسى حديث أنس حديث حسن صحيح(5).

ولقد كانت أم سُليم رضي الله عنها عالمة بغُسل الميت وتكفينه، وقد غسّلت ابنها بنفسها لما وافته

---

1 – فمن أين يكون الشبه: معناه أن الولد متولد من ماء الرجل وماء المرأة فأيهما غلب كان الشبه له وإذا كان للمرأة مني فإنزاله وخروجه منها ممكن.

2 – أخرجه مسلم في صحيحه (250/1) ح(311).

3 – أخرجه مسلم في صحيحه (250/1) ح(310).

4 – الطبراني/المعجم الكبير (127/25) ح(309).

5 – حسن. أخرجه الترمذي في سننه (2/ 347) ح(481).

المنية كما جاء عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: (**أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ رضي الله عنه كَانَ لَهُ ابْنٌ يُكَنَّى أَبَا عُمَيْرٍ، قَالَ: فَكَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ: أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟ قَالَ: فَمَرِضَ وَأَبُو طَلْحَةَ غَائِبٌ فِي بَعْضِ حِيطَانِهِ، فَهَلَكَ الصَّبِيُّ، فَقَامَتْ أم سُلَيم، فَغَسَّلَتْهُ، وَكَفَّنَتْهُ وَحَنَّطَتْهُ وَسَجَّتْ عَلَيْهِ ثَوْبًا، ...**)(1).

ولقد زرعت حب طلب العلم في ابنها أنس رضي الله عنه منذ صغره فها هو يروي (**2286**) ألفي حديث ومائتين وستة وثمانين حديثًا، اتفق البخاري ومسلم منها على (**168**) مائة وثمانية وستين، وانفرد البخاري (**83**) بثلاثة وثمانين، ومسلم (**71**) واحد وسبعين"(2).

لقد استطاع هذا الصبي الصغير أن يستثمر زمن خدمته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في طلب العلم الشرعي، وغدا عالمًا من علماء الصحابة رضي الله عنهم.

أتعلمون أنه بموت أنس رضي الله عنه فقد العلماء مرجعًا عظيمًا من مراجع السنة النبوية المطهرة كما جاء عَنْ قَتادة: "**لما مات أَنس بْن مالك رضي الله عنه، قَالَ مُوَرِّق(3): ذهب اليومَ نصفُ العلم. قيل: كيف ذاك يا أبا المُعتَمِر؟ قَالَ: كَانَ الرجل من أهل الأهواء، إذا خالفنا فِي الحديث، قلنا: تعال إلى من سَمِعَه من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم**"(4).

وقد سرى طلب العلم إلى زوجها أبي طلحة رضي الله عنه فقد عرضت له مسألة متعلقة بمال الأيتام، فسارع إلى سؤال المعلم الأول صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك حتى لا يكون ممن قال الله عز وجل فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾(5). خشي أن يكون هذا إهدارًا لمال الأيتام كما جاء عَنْ

---

1 – **صحيح**. أخرجه ابن حبان في صحيحه (158/16) ح(7188).

2 – النووي/تهذيب الأسماء واللغات (127/1).

3 – **مُوَرِّق العِجْلِيُّ**: الإمام، أبو المعتمر البصري. قَالَ ابْنُ سَعْدٍ: كَانَ ثِقَةً، عَابِداً، تُوُفِّيَ فِي وِلاَيَةِ عُمَرَ بنِ هُبَيْرَةَ عَلَى العِرَاقِ. الذهبي/ سير أعلام النبلاء (207/5).

4 – البخاري/التاريخ الكبير (27/2) ر(1579).

5 – سورة النساء: الآية 10.

أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: (أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ سَأَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم عَنْ أَيْتَامٍ وَرِثُوا خَمْرًا قَالَ: أَهْرِقْهَا. قَالَ: أَفَلاَ أَجْعَلُهَا خَلاًّ قَالَ: لاَ)(1).

فيا حسرة على أناس ولغوا في أموال الأيتام، وبددوها وأسرفوا فيها، فجمعوا عليهم حسرة فَقْد الأب، وحسرة فَقْد المال(2).

لم تكن أسرة أم سُليم رضي الله عنها وحدها هي الحريصة على طلب العلم، فقد كان أخوها حرام بن ملحان رضي الله عنه من طلاب العلم النجباء، ومن حملة القرآن الكريم.

فحُق لكل أخت أن تفخر بأخيها عندما يكون من أهل العلم، ومن سفراء الإسلام الذين يثق النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقدرتهم على نشر العلم الشرعي والوعي بين المسلمين الجدد.

ولم تكن أم سُليم رضي الله عنها من أولئك النسوة اللاتي امتلأت رؤوسهن حفظًا وعلمًا، ولا تترجم ذلك على أرض الواقع؛ بل كانت ممن يصدق قوله عمله يشهد لها بذلك أم عطية رضي الله عنها، قَالَتْ: (أَخَذَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم مَعَ الْبَيْعَةِ، أَلَّا نَنُوحَ، فَمَا وَفَتْ مِنَّا امْرَأَةٌ، إِلَّا خَمْسٌ(3): أم سُليم، وَأُمُّ الْعَلَاءِ، وَابْنَةُ أَبِي سَبْرَةَ، امْرَأَةُ مُعَاذٍ، أَوْ ابْنَةُ أَبِي سَبْرَةَ، وَامْرَأَةُ مُعَاذٍ)(4).

وها هو أنس رضي الله عنه يورث طلب العلم لأولاده، ويوصيهم بالتوثيق فكَانَ يَقُولُ لِبَنِيهِ: "يَا بَنِيَّ قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ"(5). وكأن الإمام مالك(6) بنى مقولته على وصية أنس رضي الله عنه لبنيه حين قال:

العلم صيد والكتابة قيده ... قيد صيودك بالحبال الواثقة

فمن الحماقة أن تصيد غزالة ... وتفكها بين الخلائق طالقة

---

1 – صحيح. أخرجه أبو داود في سننه (3/ 366) ح(3677).

2 – لمزيد من طرق أكل مال اليتيم؛ راجع كتيب صور من أكل مال اليتيم بالباطل للمؤلف.

3 - فما وفت منا امرأة إلا الخمس: ... معناه لم يف ممن بايع مع أم عطية رضي الله عنها في الوقت الذي بايعت فيه من النسوة إلا الخمس، لا أنه لم يترك النياحة من المسلمات غير خمس.

4 – أخرجه مسلم في صحيحه (645/2) ح(936).

5 – ابن عبد البر/جامع بيان العلم وفضله (316/1) ح(410).

6 – الهرري/ الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (161/16).

أم سُليم رضي الله عنها وإكرام النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأولادها

من كرم الله ﷻ على أم سُليم رضي الله عنها أنها حظيت برؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وملاقاته؛ بل من أعظم النعم عليها أن ابنها كان خادمًا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ولأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو من علمنا أن من قدّم لنا الخير لا بد أن يُكافئ المرء صاحبه، جاء ذلك عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: **(مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ)**(1).

فكيف بالقدوة عندما يُطلب منه أن يخص أحدًا بدعوة؟، فما بالنا لو كان هذا الأحد هو خادمه ومن أقرب الناس إليه، يروي ذلك لنا أَنَس رضي الله عنه شخصيًّا قال: **(دَخَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم، عَلَى أم سُليم، فَأَتَتْهُ بِتَمْرٍ وَسَمْنٍ، قَالَ: أَعِيدُوا سَمْنَكُمْ فِي سِقَائِهِ(2)، وَتَمْرَكُمْ فِي وِعَائِهِ، فَإِنِّي صَائِمٌ، ثُمَّ قَامَ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ البَيْتِ، فَصَلَّى غَيْرَ المَكْتُوبَةِ، فَدَعَا لِأم سُليم وَأَهْلِ بَيْتِهَا، فَقَالَتْ أم سُليم: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي خُوَيْصَّةً(3)، قَالَ: مَا هِيَ؟، قَالَتْ: خَادِمُكَ أَنَسٌ، فَمَا تَرَكَ خَيْرَ آخِرَةٍ وَلاَ دُنْيَا إِلَّا دَعَا لِي بِهِ، قَالَ: اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ مَالًا وَوَلَدًا، وَبَارِكْ لَهُ فِيهِ، فَإِنِّي لَمِنْ أَكْثَرِ الأَنْصَارِ مَالًا، وَحَدَّثَتْنِي ابْنَتِي أُمَيْنَةُ: أَنَّهُ دُفِنَ لِصُلْبِي(4) مَقْدَمَ حَجَّاجٍ البَصْرَةَ بِضْعٌ(5) وَعِشْرُونَ وَمِائَةٌ)** (6).

لا شك أن أعظم نعمة مَنَّ الله ﷻ على أنس رضي الله عنه بعد الإسلام أنه كان خادمًا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فنعم الله على عباده لا تُعد ولا تُحصى كما قال مولانا ﷻ في كتابه العظيم: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ

---

1 – **صحيح**. أخرجه ابن حبان في صحيحه (202/8) ح(3413).

2 – **سِقَائِهِ**: وعاء من جلد يوضع فيه الماء وربما وضع فيه غيره.

3 – **خُوَيْصَّةً**: تصغير خاصة ومعناه الذي يختص بخدمتك وصغرته لصغر سنه.

4 – **لِصُلْبِي**: أي من ولدي غير أحفادي وأسباطي والحفيد ولد الابن والسبط ولد البنت.

5 – **بِضْعٌ**: ما بين ثلاث إلى تسع.

6 – أخرجه البخاري في صحيحه (41/3) ح(1982).

رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾(1). كان الصحابة الكرام رضي الله عنهم يتسابقون لرؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكيف بمن حظي بعشر من السنين في خدمته؟. ولم تكن العلاقة يومًا بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخادمه أنس رضي الله عنه كما نشاهد على شاشات التلفزة من تحقير وتصغير للعاملين في البيوت في خدمة الناس؛ بل كانت أرقى بكثير، راقية برقي أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يُمازح أنسًا ويلاطفه؛ فها هو يمازح خادمه قائلًا له:(**يَا ذَا الأُذُنَيْنِ**)(2).

قال صاحب المرقاة رحمه الله (3): وهذا القول من جملة مداعباته صلى الله عليه وآله وسلم ولطيف أخلاقه، وأنه قال ذلك على سبيل الانبساط إليه والمزاح معه وقد كان مزحه صلى الله عليه وآله وسلم مزحًا لا يدخله الكذب والتزيد، وكل إنسان له أذنان فهو صادق في وصفه إياه بذلك.

وقيل: أنه حمده على ذكائه وفطنته وحسن استماعه، وهو من باب الحض والتنبيه على حسن الاستماع لما يقوله صلى الله عليه وآله وسلم ويعلمه إياه، والاستماع إنما يكون بحاسة الأذن، وقد خلق الله تعالى له أذنين يسمع بكل واحدة منهما وجعلهما حجة عليه فلا يعذر معهما إن أغفل الاستماع له ولم يحسن الوعي له.

وكان يمازحه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتمرير يده على شعره، ورفضت أم سُليم رضي الله عنها أن يقوم ابنها أنس بقص ذؤابته لبركة يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما روى صاحب الذؤابة نفسه قائلًا: (**قَالَ كَانَتْ لِى ذُؤَابَةٌ**(4) **فَقَالَتْ لِي أُمِّي: لاَ أَجُزُّهَا**(5) **كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَمُدُّهَا وَيَأْخُذُ بِهَا**(6)(7).

---

1 – سورة النحل: الآية 18.

2 – **صحيح**. أخرجه أبو داود في سننه (458/4) ح(5004).

3 – **انظر**؛ القاري/مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح(3063/7)، السيوطي/مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود (1267/3)، الخطابي/معالم السنن (135/4).

4 – **ذُؤَابَةٌ**: هي الشعر المضفور من الرأس.

5 – **لاَ أَجُزُّهَا**: لا أقطعها.

6 – **يَمُدُّهَا وَيَأْخُذُ بِهَا**: عللت عدم الجز بأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إياها تبركًا وتيمنًا.

7 – **ضعيف**. سنن أبي داود (134/4) ح(4198).

اجتهاد أهل بيت أم سُليم رضي الله عنها في العبادة

إن المتتبع معي لقصة هذه المرأة المثالية يجد بيتًا عامرًا بالإيمان، أهله أصحاب علم وعمل، كما أنهم أصحاب فقه وفهم للأولويات، فها هو أبو طلحة رضي الله عنه يترك صيام التطوع على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أجل أن يظل بكامل قواه الجسدية خلال المعارك التي يخوضها تحت قيادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وما إن انتقل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى جوار ربه حتى بدأ في التعويض عمّا فاته من صيام التطوع حتى أنه كان يسرد الصوم سردًا(1)، ولا يُفطر إلا في الأيام التي يَحرُم الصوم فيها كالعيدين وأيام التشريق كما جاء عن أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: **(كَانَ أَبُو طَلْحَةَ لاَ يَصُومُ(2)عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم مِنْ أَجْلِ الغَزْوِ، فَلَمَّا قُبِضَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم لَمْ أَرَهُ مُفْطِرًا إِلَّا يَوْمَ فِطْرٍ أَوْ أَضْحَى)**(3).

وفي أحد المواطن تطلب أم سُليم رضي الله عنها الوصية من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتقول: **(يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي. قَالَ: اهْجُرِي الْمَعَاصِي، فَإِنَّهَا أَفْضَلُ الْهِجْرَةِ، وحافِظِي عَلَى الْفَرَائِضِ، فَإِنَّهَا أَفْضَلُ الْجِهَادِ، وَأَكْثِرِي ذِكْرَ اللَّهِ، فَإِنَّكِ لَا تَأْتِينَ اللَّهَ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كَثْرَةِ ذِكْرِهِ)**(4).

يحرص أنس أن يتشبه بنبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في كل شيء، أن يكون مُتّبعًا له في كل صغيرة وكبيرة، ونضرب مثالًا على الصلاة، فقد أمرنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن نصلي كما كان يصلي، كما في الحديث عَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ مَالِكِ بْنِ الحُوَيْرِثِ رضي الله عنه، قَالَ: أَتَيْنَا النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: ....**وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي)**(5).

---

1 – ابن الأثير/أسد الغابة في معرفة الصحابة (137/2).

2 – **لا يصوم**: تطوعًا ليقوى على الجهاد وقد كان فارس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

3 – أخرجه البخاري في صحيحه (24/4) ح(2828).

4 – **ضعيف**. أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (21/7) ح(6735)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (228/1) ح(909).

5 – أخرجه البخاري في صحيحه (9/8) ح(6008).

فيشهد أبو هريرة لأنس رضي الله عنهما بأنه كان كذلك، فيقول: "**مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ صَلَاةً بِرَسُولِ اللَّهِ** صلى الله عليه وآله وسلم **مِنَ ابْنِ أم سُليم**. يَعْنِي: أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه"(1).

حتى في طول صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان أنس رضي الله عنه يقتدي به ففي الحديث عن المُغِيرَةَ رضي الله عنه، يَقُولُ: (**قَامَ النَّبِيُّ** صلى الله عليه وآله وسلم **حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**)(2).، وها هو التلميذ النجيب يقتدي برسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم يروي لنا ذلك ثُمَامَة، قَالَ: "**كَانَ أَنَسٌ يُصَلِّي حَتَّى تَفَطَّرَ قَدَمَاهُ دَماً، مِمَّا يُطِيلُ القِيَامَ** رضي الله عنه"(3).

كيف لا يكون خاشعًا في صلاته، وهو يعلم أن عدمه تهلكة يروي هو لنا ذلك فيقول رضي الله عنه: (**قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ** صلى الله عليه وآله وسلم **: يَا بُنَيَّ، إِيَّاكَ وَالِالتِفَاتَ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّ الِالتِفَاتَ فِي الصَّلَاةِ هَلَكَةٌ، ...**) قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ(4).

---

1 – **حسن**. أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (367/7) ح(7745)، حسنه **الشيخ الدكتور/عبد المعطي الأخرس**، والشكر موصول لفضيلته على التحقق من صحة تخريج الأحاديث التي وردت في الكتاب.

2 – أخرجه البخاري في صحيحه (135/6) ح(4836).

3 – الذهبي/سير أعلام النبلاء (400/3).

4 – **ضعيف**. أخرجه الترمذي في سننه (484/2) ح(589).

أم سُليم رضي الله عنها وإكرام الضيف

عائلة مباركة جمعت بين العلم والعمل، والشجاعة والإقدام، والكرم والإيثار، كان الإسلام مترجمًا ترجمة عملية في حياتهم، ولم تكن طقوسًا باردة لا علاقة لها بمكنون حياتهم.

ها هي العائلة العظيمة تضرب لنا أروع الأمثلة في الكرم والجود والإيثار، حتى عجب الله من صنيعهما، ورضي عن عملهما، ونزل في ذلك قرآن يُتلى قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩﴾(1). ونسوق الحديث كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، **(أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ** صلى الله عليه وآله وسلم، **فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا إِلَّا المَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ** صلى الله عليه وآله وسلم **: مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ**(2)**: أَنَا، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ** صلى الله عليه وآله وسلم، **فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، فَقَالَ: هَيِّئِي طَعَامَكِ، وَأَصْبِحِي سِرَاجَكِ**(3)**، وَنَوِّمِي صِبْيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً، فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا، وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا، وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلاَ يُرِيَانِهِ**(4) **أَنَّهُمَا يَأْكُلاَنِ، فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ** صلى الله عليه وآله وسلم،

---

1 – سورة الحشر: الآية 9.

2 – **رجل**: هو أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري رضي الله عنه. وقد ورد اسمه صراحة في صحيح مسلم (1625/3) ح(2054).

3 – **أصبحي**: أوقدي ونوري.

4 – **يريانه**: من الإراءة أي يتظاهران بذلك.

فَقَالَ: ضَحِكَ اللَّهُ(1) اللَّيْلَةَ، أَوْ عَجِبَ، مِنْ فَعَالِكُمَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾)(2).

كيف لا يُبادر أبو طلحة رضي الله عنه إلى رحمة الله تعالى، ولنتخيل امرأة بهذه التضحية، لا يوجد في بيتها إلا طعام أطفالها، لكنها تقدم مع زوجها طلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في إطعام ضيفه وإكرامه. كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ(3)، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، فَقَالَ: مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللهُ؟، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللهِ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لَا. إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، قَالَ: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِ السِّرَاجَ، وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ، فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ، قَالَ: فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، فَقَالَ: قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ)(4).

أيّ حُب هذا الذي دفعكما لهذا العمل العجيب؟. وأيّ إرادة عجيبة هي التي نزعت البخل والشح من نفسيكما لتكونا على هذا القدر من التضحية؟. إنه الإيمان الذي استقر في قلبيكما، فكان حب رسول الله وطاعة أمره صلى الله عليه وآله وسلم أحب إليكما مما طلعت عليه الشمس كما في حديث أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)(5).

---

1 – ضحك: أي رضي.

2 – أخرجه البخاري في صحيحه (34/5) ح(3798).

3 – إني مجهود: أي أصابني الجهد وهو المشقة، والحاجة، وسوء العيش، والجوع.

4 – أخرجه مسلم في صحيحه (1624/3) ح(2054).

5 – أخرجه البخاري في صحيحه (12/1) ح(15).

لم تكن حادثة فردية، ولم يكن الكرم لفرد واحد؛ بل كان هذا إحساسًا بالآخرين، تلمسًا لمن حولهم، فها هو أبو طلحة رضي الله عنه يعود لأم سُليم رضي الله عنها ليبلغها خبرًا يجعل قلبها يعتصر ألمًا، يبلغها أن حبيبهما المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم يتضور جوعًا، قد ربط من شدة الجوع حجرًا(1) على بطنه(2)، يروي لنا هذا الحدث العظيم أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه، يَقُولُ: (قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لِأُم سُلَيم لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم ضَعِيفًا، أَعْرِفُ فِيهِ الجُوعَ، فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ، ثُمَّ أَخْرَجَتْ خِمَارًا (3) لَهَا، فَلَفَّتِ الخُبْزَ بِبَعْضِهِ، ثُمَّ دَسَّتْهُ(4) تَحْتَ يَدِي وَلاَثَتْنِي(5) بِبَعْضِهِ، ثُمَّ أَرْسَلَتْنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهِ، فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم فِي المَسْجِدِ، وَمَعَهُ النَّاسُ، فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: آرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ، فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: بِطَعَامٍ، فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم لِمَنْ مَعَهُ: قُومُوا، فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا أم سُلَيم قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم بِالنَّاسِ، وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نُطْعِمُهُمْ؟ فَقَالَتْ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَأَبُو طَلْحَةَ مَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: هَلُمِّي يَا أم سُلَيم، مَا عِنْدَكِ. فَأَتَتْ بِذَلِكَ الخُبْزِ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم فَفُتَّ، وَعَصَرَتْ أم سُلَيم عُكَّةً فَأَدَمَتْهُ(6)، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم فِيهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ قَالَ: ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ، فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ، فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ، فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ

---

1 – **حجرًا**: لأن برد الحجر يصل إلى باطن الأحشاء فتبرد حرارة الجوع.

2 – صحيح مسلم (3/ 1614) ح(2040).

3 – **خمارًا**: ثوبًا تغطي به المرأة رأسها.

4 – **دسته**: أدخلته بقوة.

5 – **لاثني**: لفت بعضه على رأسه وبعضه على إبطه من الالتياث وهو الالتفاف.

6 – **عكة**: إناء مستدير من جلد يجعل فيه السمن والعسل غالبًا. **فأدمته**: جعلته إدامًا للمفتوت.

خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ، فَأَكَلَ القَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا، وَالقَوْمُ سَبْعُونَ أَوْ ثَمَانُونَ رَجُلًا) (1).

تخيل معي أيّها القارئ الكريم المشهد جيّدًا: يلتمسون بعض الطعام لرسول الله ﷺ ليسدوا جوعه، فإذا بثمانين رجلًا يحضرون مع رسول الله ﷺ ، وهنا يُصاب أبو طلحة رضي الله عنه بالخوف من الإحراج من ضيوف رسول الله ﷺ، فلا يوجد في بيته ما يُطعم كل هذا العدد من الرجال، وإذا بالمرأة الواثقة بحكمة رسولها الكريم ﷺ تطمئن قلب زوجها بأن رسول الله ﷺ أعلم بما يفعل، ولا تترك مجالًا للشك أن يتسلل إلى قلبها أو شريك حياتها ولو للحظات.

وتترجم هذه الثقة على الفور، فما إن يأمرها رسولها ﷺ بفت الخبز حتى تسارع إلى ذلك مباشرة، وما إن تنتهي من فت الخبز حتى تضع الطعام على الخبز المفتوت.

تثق أم سُليم رضي الله عنها أن بركة رسولها الحبيب ﷺ إذا حلت في المكان فلا علاقة لكل الحسابات المادية.

دُهشت أم سُليم رضي الله عنها ببركة المصطفى ﷺ فقد زاد الطعام وأطعمت منه جيرانها(2)، ويرى النبي ﷺ الدهشة في وجهها فيسألها قائلًا: **(يَا أم سُليم أَيْنَ هَذَا مِنْ طَعَامِكِ حِينَ قَدَّمْتِيهِ. قَالَتْ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، لَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُهُمْ يَأْكُلُونَ لَقُلْتُ: مَا نَقَصَ مِنْ طَعَامِنَا شَيْءٌ)**(3).

أم سُليم رضي الله عنها والإنفاق في سبيل الله

مرّ معنا كرم أبي طلحة رضي الله عنه وأهل بيته، وأنهم كانوا يجودون بما عندهم إكرامًا لضيوف رسول الله ﷺ، وكانوا على ثقة كبيرة أن الله يُخلف النفقة في سبيل

---

1 – أخرجه البخاري في صحيحه (4/ 193) ح(3578).

2 – صحيح مسلم (3/ 1614) ح(2040).

3 – الطبراني/ المعجم الكبير (110/25) ح(278).

الله كما قال مولانا ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (1). ثقة أبي طلحة في ربه أنه سيضاعف له ما أنفق أضعافًا مضاعفة فهو يؤمن بقول مولاه ﷻ: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾ (2).

هكذا كانت آيات القرآن الكريم تلامس شغاف الإيمان المستقر في قلوب الجيل القرآني الفريد، فيزدادون إيمانًا إلى إيمانهم، عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ(3)، "**فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا**"(4). وهذه صفة لازمة لأهل الإيمان كما قال مولانا ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾(5).

يسمع أبو طلحة رضي الله عنه آيات تتنزل على قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيسارع إلى العمل بها، وهذا ما كان ديدن الرعيل الأول من الصحابة رضي الله عنهم كما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: "**كانَ الرجل مِنَّا إذا تعلَّم عَشْر آياتٍ لم يجاوزهُنّ حتى يعرف معانيهُنَّ، والعملَ بهنَّ**"(6). فما إن نزل قول الله ﷻ: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ(7) حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ (1) وَمَا

---

1 – سورة سبأ: الآية 39.

2 – سورة البقرة: الآية 245.

3 – حَزَاوِرَةٌ: الحزوَّر هو: الغلام إذا اشتد وقوي وحَزُم.

4 – صحيح. أخرجه ابن ماجه في سننه (1/ 42) ح(61).

5 – سورة الأنفال: الآية 2.

6 – الطبري/ جامع البيان عن تأويل آي القرآن (81/1)، وصححه إسناده موقوفًا أحمد شاكر.

7 – البر: اسم جامع لكل خير.

﴿تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٩٢﴾(2). حتى سارع أبو طلحة رضي الله عنه للاستجابة لأمر الله سبحانه وتعالى مستحضرًا قول مولاه عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤﴾ (3)، ونظر في ماله أيّ هذا المال أحب إلى قلبه ونفسه، فما وجد إلا تلك الحديقة الغنّاء المقابلة للمسجد، التي كان يستظل(4) النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ظلّها ويشرب ماء عذبًا طيبًا منها، وكان الدخل السنوي العائد عليه من هذه الحديقة يزيد عن خمسين ألف درهم سنويًّا(5)، وكم كان يود أن تكون صدقة سرية(6) لا يعلم بها أحد؛ ليكون ممن يُظلّهم الله في ظله يوم لا ظلّ إلا ظلّه كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: **(سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ)**(7).

يذهب أبو طلحة رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ليتبرع بأحب ماله إليه، راجيًا من الله تعالى أن تكون من الصدقات المتقبلة، يروي لنا ذلك أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه فيَقُولُ: **(كَانَ أَبُو**

---

1 – **مما تحبون**: من أموالكم التي ترغبون بها طيبة بذلك نفوسكم.

2 – سورة آل عمران: الآية 92.

3 – سورة الأنفال: الآية 24.

4 – صحيح البخاري (4/ 8) ح(2758).

5 – المنصورفوري/رحمة للعالمين ص (833).

6 – مسند الإمام أحمد (191/19) ح(12144).

7 – أخرجه البخاري في صحيحه (2/ 111) ح(1423).

طَلْحَةَ أَكْثَرَ الأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ(1)، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ المَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ(2)، قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ ..﴾ قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ ..﴾ وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ(3)، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بَخٍ(4)، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ(5)، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ. فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ..)(6).

أتظنون أن الله يُضيع أجر من أحسن عملًا.

كلّا. والله إن الله يضاعف؛ بل إن الله يضاعفه اضعافًا بفضله ومنّه وكرمه.

وها هي أم سُليم رضي الله عنها تجمع بعض السمن لرسول الله ﷺ، فيُخلف الله عليها، بمثل ما أنفقت، كما جاء عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنْ أُمِّهِ رضي الله عنها قَالَ: (كَانَتْ لَهَا شَاةٌ، فَجَمَعَتْ مِنْ سَمْنِهَا فِي عُكَّةٍ(7)، فَمَلَأَتِ الْعُكَّةَ ثُمَّ بَعَثَتْ بِهَا مَعَ رَبِيبَةَ، فَقَالَتْ: يَا رَبِيبَةُ، أَبْلِغِي هَذِهِ الْعُكَّةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْتَدِمُ بِهَا، فَانْطَلَقَتْ بِهَا رَبِيبَةُ حَتَّى أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عُكَّةُ سَمْنٍ بَعَثَتْ بِهَا إِلَيْكَ أم سُلَيم، قَالَ:

---

1 – **بيرحاء**: اسم بستان.

2 – **طيب**: عذب.

3 – **أرجو برها وذخرها**: أطمع وآمل من الله تعالى أن يدخر لي أجرها وثوابها لأجده يوم القيامة.

4 – **بَخٍ**: تقال عند الرضا والإعجاب بالشيء.

5 – **مال رابح**: ذو ربح كثير يجنيه صاحبه في الآخرة.

6 – أخرجه البخاري في صحيحه (119/2) ح(1461).

7 – **عُكَّةٍ**: آنِيَةُ السَّمْنِ، أصْغَرُ من القِرْبَةِ.

فَرِّغُوا لَهَا عُكَّتَهَا، فَفُرِّغَتِ الْعُكَّةُ، فَدُفِعَتْ إِلَيْهَا، فَانْطَلَقَتْ بِهَا، فَجَاءَتْ أم سُلَيم، فَرَأَتِ الْعُكَّةَ مُمْتَلِئَةً تَقْطُرُ، فَقَالَتْ أم سُلَيم: يَا رَبِيبَةُ(1)، أَلَيْسَ أَمَرْتُكِ أَنْ تَنْطَلِقِي بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم؟ فَقَالَتْ: قَدْ فَعَلْتُ، فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقِينِي فَانْطَلِقِي فَسَلِي رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَانْطَلَقَتْ أم سُلَيم وَمَعَهَا رَبِيبَةُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي بَعَثْتُ إِلَيْكَ مَعَهَا بِعُكَّةٍ فِيهَا سَمْنٌ، قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، قَدْ جَاءَتْ بِهَا، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ إِنَّهَا لَمُمْتَلِئَةٌ تَقْطُرُ سَمْنًا، قَالَ: فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: أَتَعْجَبِينَ أَنْ كَانَ اللَّهُ أَطْعَمَكِ كَمَا أَطْعَمْتِ نَبِيَّهُ، كُلِي وَأَطْعِمِي، قَالَتْ: فَجِئْتُ الْبَيْتَ، فَقَسَمْتُ فِي قَعْبٍ(2) لَنَا كَذَا وَكَذَا، وَتَرَكْتُ فِيهَا مَا ائْتَدَمْنَا مِنْهُ شَهْرًا أَوْ شَهْرَيْنِ)(3).

1 – رَبِيبَةُ: بنت الزوجة تسمى ربيبة وإن لم تكن في حجر زوج أمها.

2 – قَعْبٍ: قدح من خشب.

3 – ضعيف. أخرجه أبو يعلى في مسنده (218/7) ح(4213).

أم سُليم رضي الله عنها والجهاد في سبيل الله

أولًا: أم سُليم رضي الله عنها في التجهيز والإمداد

لم تمض سنتان من هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا وقد أذن الله لعباده المستضعفين في الأرض بالقتال بأن تكون معركة بدر الكبرى في شهر رمضان المبارك، فإذا بأم سُليم رضي الله عنها تستذكر قول ربها عز وجل: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾(1).

رغم أن الصحابة رضي الله عنهم لم تكن لديهم الرغبة في القتال في هذه الفترة التي مازالوا فيها مستضعفين في الأرض كما قال ربنا عز وجل: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾(2).

فما إن صدحت حناجر الصحابة رضي الله عنهم بجهوزيتهم لأمر الله سبحانه وتعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بقتال المشركين، وما إن صرح قائد الأنصار سعد بن معاذ رضي الله عنه قائلًا: "والله، لَكَأَنَّك تُرِيدنَا يَا رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟.

قَالَ: أجل.

قَالَ: قد آمنا بك وَصَدَّقنَاك وَشَهِدْنَا أَن مَا جِئْت بِهِ هُوَ الْحق، وَأَعْطَيْنَاك عَلَى ذَلِك عُهُودنَا وَمَوَاثِيقنَا عَلَى السّمع وَالطَّاعَة، فَامْضِ يَا رَسُول الله لما أردْت فوالذي بَعثك

---

1 – سورة الحج: الآيات 39–41.

2 – سورة الأنفال: الآية 26.

بِالْحَقِّ لَو اسْتعْرضت بِنَا هَذَا الْبَحْر فَخُضْته لَخُضْنَاهُ مَعَك لَا يتَخَلَّف منا رجل وَاحِد وَمَا نكره أَن تلقى بِنَا عدونا إِنَّا لصبر عِنْد الْحَرْب صدق عِنْد اللِّقَاء وَلَعَلَّ الله يُرِيك منا مَا تقر بِهِ عَيْنك فسر بِنَا عَلَى بركَة الله"(1).

تحركت أم سُليم رضي الله عنها مسرعة لتنال هذا الأجر العظيم، تحركت لتجهيز زوجها زيد – أبو طلحة– رضي الله عنه ليكون أحد أبطال معركة **بدر الكبرى**(2)، معركة **الفرقان** التي فرقت بين الحق والباطل، وهي التي رجت أن تكون من أهل هذا الحديث الذي رواه زَيْدُ بْنُ خَالِدٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: (**مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا**(3). **فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا**(4)، **وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا**(5). **فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ**(6). **فَقَدْ غَزَا**)(7).

كيف لا تتحرك امرأة مثل أم سُليم رضي الله عنها وهي التي تسعى إلى مرضاة الله في كل حركة وسكنة في حياتها، وهي التي تبحث عن الأجر، وها هو الأجر يأتيها متمثلًا بتجهيز مقاتل صنديد كأبي طلحة، ولقد كان أبو طلحة رضي الله عنه قناصًا ماهرًا، قلما يُخطئ له سهم رماه كما أخبر عن ذلك أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: (**كَانَ أَبُو طَلْحَةَ يَتَتَرَّسُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم بِتُرْسٍ وَاحِدٍ، وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ حَسَنَ الرَّمْيِ، فَكَانَ إِذَا رَمَى تَشَرَّفَ**(8). **النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم، فَيَنْظُرُ إِلَى مَوْضِعِ نَبْلِهِ**(9))(1).

---

1 – المباركفوري/ الرحيق المختوم ص (166).

2 – ابن هشام/ السيرة النبوية (259/3).

3 – **جهز غازيًا**: هيأ له ما يحتاجه في سفره وغزوه، والغزو الجهاد.

4 – **فقد غزا**: كتب له أجر الغزو وإن لم يغز لأنه ساعد عليه.

5 – **خلف غازيًا**: قام مقامه في قضاء حاجات أهله حال غيبته.

6 – **بخير**: بإحسان وأمانة وإخلاص.

7 – أخرجه البخاري في صحيحه (27/4) ح(2843).

8 – **تشرف**: تطلع من فوق.

9 – **موضع نبله**: مكان سقوطه.

لم تكن تجهز مقاتلًا عاديًّا، إنه فارس رسول الله الذي امتنع عن صوم التطوع ليكون على جهوزية تامة للقتال جنبًا إلى جنب مع رسول الله ﷺ كما جاء عن أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: **(كَانَ أَبُو طَلْحَةَ لاَ يَصُومُ (2)عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَجْلِ الغَزْوِ، فَلَمَّا قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ لَمْ أَرَهُ مُفْطِرًا إِلَّا يَوْمَ فِطْرٍ أَوْ أَضْحَى)**(3).

فبدأت بتجهيز عدته وعتاده راغبة في مثل أجر هذا المجاهد يسوقها للأجر حديث عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَسْتَقِلَّ، كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يَرْجِعَ)** (4).

أتظنون أم سُليم رضي الله عنها ككثير من نسائنا ممن تثبط أهل بيتها عن الجهاد والمقاومة، أو ممن ترفض زوجًا لابنتها إذا كان ملتحقًا بصفوف المجاهدين في سبيل الله، أيُعقل أن تفعل أم سُليم رضي الله عنها ذلك؟ وهي التي تخشى مصيبة تحط رحالها في بيتها بسبب هذا التقاعس والتثبيط لحديث أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(مَنْ لَمْ يَغْزُ أَوْ يُجَهِّزْ غَازِيًا أَوْ يَخْلُفْ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ أَصَابَهُ اللَّهُ بِقَارِعَةٍ(5). قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ)**(6).

---

1 – أخرجه البخاري في صحيحه (38/4) ح(2902).

2 – **لا يصوم**: تطوعًا ليقوى على الجهاد وقد كان فارس رسول الله ﷺ.

3 – أخرجه البخاري في صحيحه (24/4) ح(2828).–

4 – **صحيح**. أخرجه ابن ماجه في سننه (922/2) ح(2759).

5 – **بقارعة**: أي بداهية مهلكة.

6 – **حسن**. أخرجه أبو داود في سننه (318/2) ح(2505).

ثانيًا: أم سُليم رضي الله عنها في الإسعاف الحربي

نعود إلى بطلة قصتنا والعود أحمد فأقول: ليتك يا أم سُليم رضي الله عنها اكتفيت بتجهيز المجاهدين قبل انطلاقهم إلى ساحات الوغى؛ بل كنتِ مُصرة أن تكوني داخل المعركة نفسها، فعملتِ مسعفة حربية في جيش النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فما إن انقضى العام الثاني من الهجرة بعد انتهاء **معركة بدر الكبرى**، حتى لاحت **معركة أُحد** في شهر شوال من **السنة الثالثة** من الهجرة يخبرنا بذلك ابنها أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: (**لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ** صلى الله عليه وآله وسلم، **وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيِ**(1) **النَّبِيِّ** صلى الله عليه وآله وسلم **مُجَوِّبٌ**(2) **بِهِ عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ لَهُ**(3)، **وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلًا رَامِيًا شَدِيدَ القِدِّ**(4)، **يَكْسِرُ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا، وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ الجَعْبَةُ**(5) **مِنَ النَّبْلِ، فَيَقُولُ: انْثُرْهَا لِأَبِي طَلْحَةَ. فَأَشْرَفَ النَّبِيُّ** صلى الله عليه وآله وسلم **يَنْظُرُ إِلَى القَوْمِ، فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، لاَ تُشْرِفْ يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ القَوْمِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ**(6)، **وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، وَأُم سُلَيم وَإِنَّهُمَا لَمُشَمِّرَتَانِ، أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا**(7)، **تُنْقِزَانِ**(8) **القِرَبَ عَلَى مُتُونِهِمَا**(9)، **تُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ القَوْمِ، ثُمَّ تَرْجِعَانِ، فَتَمْلَآنِهَا، ثُمَّ تَجِيئَانِ فَتُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ القَوْمِ، وَلَقَدْ وَقَعَ السَّيْفُ مِنْ يَدَيْ أَبِي طَلْحَةَ إِمَّا مَرَّتَيْنِ وَإِمَّا ثَلاَثًا**)(10).

---

1 – **بين يدي**: أمام.

2 – **مجوب به عليه**: مترس عليه بنفسه يقيه من ضربات المشركين ونبالهم.

3 – **بحجفة**: ترس من الجلد ليس فيها خشب.

4 – **شديد القد**: هو السير من جلد مدبوغ والمعنى أن وتر قوسه شديد في النزع والمد.

5 – **الجعبة**: الكنانة المملوءة بالنبل.

6 – **نحري دون نحرك**: أقف بين يديك بحيث إذا جاء السهم يصيب نحري ولا يصيب نحرك والنحر الصدر وأسفل العنق.

7 – **خدم سوقهما**: الواحدة خدمة وهي الخلخال والسوق جمع ساق – وذلك قبل فرض الحجاب–.

8 – **تُنْقِزَانِ**: من النقز وهو الوثب والإسراع في المشي.

9 – **على متونهما**: أي على ظهورهما.

10 – أخرجه البخاري في صحيحه (37/5) ح(3811).

فكانت **أم سُليم** رضي الله عنها تقوم بكل الخدمات الطبية العسكرية مع رفيقات دربها كما يروي لنا ذلك ابنها أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: **(كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَغْزُو بِأم سُلَيم وَنِسْوَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ مَعَهُ إِذَا غَزَا، فَيَسْقِينَ الْمَاءَ، وَيُدَاوِينَ الْجَرْحَى)**(1).

أيُّ تفان في خدمة الإسلام يا أم سُليم؛ تحملين أنت وأُمنا عائشة رضي الله عنها الماء على ظهرك؛ لتطبيب الجرحى وإسعافهم.

أتظنونها تفعل ذلك لعدم وجود ما يشغلها، أو كما يقال: (تتسلى وقت فراغها)، أتعلمون أنها وهي تعاني تعب الحمل لم تترك خدمة المجاهدين، يقول ابن سعد رحمه الله: "وَشَهِدَتْ يَوْمَ حُنَيْنٍ وَهِيَ حَامِلٌ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ وَشَهِدَتْ قَبْلَ ذَلِكَ يَوْمَ أُحُدٍ تَسْقِي الْعَطْشَى وَتُدَاوِي الْجَرْحَى"(2).

لله درك، وعلى الله أجرك، لقد أتعبت النساء من بعدك يا أم سُليم رضي الله عنها.

---

1 – أخرجه مسلم في صحيحه (1443/3) ح(1810).

2 – ابن سعد/الطبقات الكبرى (425/8).

ثالثًا: أم سُليم رضي الله عنها في العمل العسكري

لقد رأينا معًا ترجمة عملية لنموذج مشرق في التنافس للجهاد، بيع للنفس في ساحات الوغى، كل منهم يصرخ فعله قبل قوله: " **اللهم خذ من دمنا حتى ترضى**"، لسان حالهم في التسابق إلى ساحات الجهاد هو إتمام للتجارة مع الله ﷻ حيث قال مولانا ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾(1).

لقد كانت أم سُليم رضي الله عنها سبّاقة للعمل العسكري فقد شهدت **معركة أحد** مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان معها خنجرًا تدافع به عن بيضة الإسلام(2).

لعل البعض يوسوس له الشيطان قائلًا:

ما هو وزن أم سُليم في المعركة؟.

وهل وجودها سيكون له أثر في المعركة؟.

لهولاء أتلو قول الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ (86) رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (87) لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (88) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(89) ﴾(3).

فأم سُليم رغبت عن الصنف الأول ورغبت في الصنف الثاني.

---

1 – سورة التوبة: الآية 111.

2 – ابن سعد/الطبقات الكبرى (425/8).

3 – سورة التوبة: الآيات من 86–89.

أتظن أنها شاركت مرة، ولم تشارك في غيرها.

أتظنها تحججت بأن الجهاد للرجال مرفوع عن النساء.

فها هي، وهي في أضعف حالاتها، وهي تحمل جنينًا في بطنها وهنًا على وهن كما جاء عَنْ عُمَارَةَ بْنِ غَزِيَّةَ قَالَ: "شَهِدَتْ أم سُليم حُنَيْنًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهَا خِنْجَرٌ قَدْ حَزَمَتْهُ عَلَى وَسَطِهَا وَإِنَّهَا يَوْمَئِذٍ حَامِلٌ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ"(1).

تشارك في **معركة حنين** في السنة **الثامنة** من الهجرة جنبًا إلى جنب مع زوجها أبي طلحة رضي الله عنه كما جاء في الحديث عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: **(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: – يَوْمَئِذٍ – يَعْنِى يَوْمَ حُنَيْنٍ – مَنْ قَتَلَ كَافِرًا فَلَهُ سَلَبُهُ. فَقَتَلَ أَبُو طَلْحَةَ يَوْمَئِذٍ عِشْرِينَ رَجُلاً وَأَخَذَ أَسْلاَبَهُمْ، وَلَقِىَ أَبُو طَلْحَةَ أم سُليم وَمَعَهَا خِنْجَرٌ**(2). **فَقَالَ يَا أم سُليم مَا هَذَا مَعَكِ، قَالَتْ: أَرَدْتُ وَاللَّهِ إِنْ دَنَا مِنِّى بَعْضُهُمْ أَبْعَجُ**(3). **بِهِ بَطْنَهُ. فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ أَبُو طَلْحَةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ)**(4).

أما اكتفيت يا أم سُليم رضي الله عنها بكونك مسعفة في الجيش، حتى حملت السلاح مع زوجك للدفاع عن رسول الله ﷺ.

كان يشجعها ويبث فيها روح الجهاد والمقاومة كلام حبيبها المصطفى ﷺ وهو يبين للأمة أن هذا الجهاد الذي يُذل الله به رؤوس دول الاستكبار العالمي، يبين للأمة أن قتال هؤلاء المشركين حجاب من النار كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(لَا يَجْتَمِعُ كَافِرٌ وَقَاتِلُهُ فِي النَّارِ أَبَدًا)**(5).

تعلم أن أقدامها التي تتغبر في سبيل الله ستكون حجابًا لها من نار جهنم، كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ**

---

1 – ابن سعد/الطبقات الكبرى (425/8).

2 – قَالَ أَبُو دَاوُدَ في سننه (23/3): "كَانَ سِلاَحَ الْعَجَمِ يَوْمَئِذٍ الْخِنْجَرُ".

3 – **أبعج**: أشق.

4 – **صحيح**. أخرجه أبو داود سننه (23/3) ح(2720).

5 – أخرجه مسلم في صحيحه (1505/3) ح(1891)

اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ نَارِ جَهَنَّمَ)(1).

ولقد استنكرت استنكارًا عظيمًا على من انهزم من المسلمين في غزوة حُنين وفروا من ساحة المعركة، وقد اتهمت هؤلاء الفارين **بالنفاق**؛ بل وكانت ترى عقابهم بخنجرها لتركهم لرسول الله ﷺ في هذه المحنة العظيمة كما يخبر عن ذلك ابنها أنس رضي الله عنه: (أَنَّ أم سُليم اتَّخَذَتْ يَوْمَ حُنَيْنٍ خِنْجَرًا، فَكَانَ مَعَهَا، فَرَآهَا أَبُو طَلْحَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، هَذِهِ أم سُليم مَعَهَا خِنْجَرٌ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا هَذَا الْخِنْجَرُ؟. قَالَتْ: اتَّخَذْتُهُ إِنْ: دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، بَقَرْتُ بِهِ بَطْنَهُ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَضْحَكُ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، اقْتُلْ مَنْ بَعْدَنَا مِنَ الطُّلَقَاءِ(2) انْهَزَمُوا بِكَ(3)؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَا أم سُليم، إِنَّ اللهَ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ)(4).

ضحك رسول الله ﷺ من الحكم الذي أصدرته أم سُليم رضي الله عنها على هؤلاء المسلمين الذي جعلها تُلْحِقُهم في الحكم بالكفار؛ لولا أن المعلم الأول ﷺ قد وضّح لها المسألة، وبيَّن لها المصطفى ﷺ أن العُجب بالكثرة هو الذي سبب الهزيمة لهؤلاء–وليس نفاقهم كما ظنت – كما قال ربها ﷻ في كتابه: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾(5).

---

1 – **صحيح**. أخرجه النسائي في سننه (12/6) ح(3107).

2 – **الطلقاء**: هم الذين أسلموا من أهل مكة يوم الفتح سموا بذلك لأن النبي ﷺ من عليهم وأطلقهم وكان في إسلامهم ضعف فاعتقدت أم سليم أنهم منافقون وأنهم استحقوا القتل بانهزامهم وغيره.

3 – **انهزموا بك**: أي انهزموا عنك، وربما تكون للسببية أي انهزموا بسببك لنفاقهم.

4 – أخرجه مسلم في صحيحه (1442/3) ح(1809).

5 – سورة التوبة: الآية 25.

أما هي فقد كانت من الفئة التي مدح ربها ثباتها في ساحة المعركة، ثبتت هذه المرأة في وقت فر فيه الكثير من الرجال فقال ﷻ: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (1).

أما اكتفيت أن تحملي الماء في معسكر الجيش وساحة القتال، **حتى حملت السلاح؟.**

أهي غيرتك على النبي ﷺ التي دفعتك لحمل السلاح الأبيض لتبعجي به بطن أولئك الذين لم يثبتوا بين يديّ رسول الله ﷺ؟.

أي حب هذا الذي جعلك على أهبة الاستعداد للدفاع عن رسول الله ﷺ؟.

وتذكر رواية أخرى أنها لم تكن حادثة فردية التي تحمل فيها أم سُليم السلاح، فقد سبق وحملته في غزوة خيبر ففي الحديث عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: **(أَنَّ أم سُليم كَانَتْ مَعَ أَبِي طَلْحَةَ يَوْمَ خَيْبَرَ وَمَعَهَا خِنْجَرٌ، فَقَالَ لَهَا أَبُو طَلْحَةَ: يَا أم سُليم، مَا هَذَا؟ قَالَتْ: خِنْجَرٌ اتَّخَذْتُهُ إِنْ دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَعَجْتُهُ. قَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَا تَسْمَعُ مَا تَقُولُ أم سُليم؟ تَقُولُ كَذَا وَكَذَا –نسي الراوي– تَقْتُلُهُمْ. فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ)**(2).

من تأمل فعل هذه العائلة الكريمة يرى الحب نابع من كل قول وفعل، فها هو أبو طلحة يضع نفسه رهن إشارة النبي ﷺ لتلبية أي أمر من أوامره وقضاء أي حاجة من حوائجه كما جاء عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: **(أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ كَانَ يَرْمِي بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، وَكَانَ رَجُلًا رَامِيًا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَلْفَهُ، وَكَانَ إِذَا رَمَى رَفَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَخْصَهُ يَنْظُرُ أَيْنَ يَقَعُ سَهْمَهُ؟ قَالَ: وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ يَدْفَعُ صَدْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ وَيَقُولُ: هَكَذَا لَا يُصِيبُكَ سَهْمٌ، وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ يُسَوِّرُ**

---

1 – سورة التوبة: الآية 26.

2 – **صحيح**. أخرجه أبو يعلى في مسنده أبي (136/6) ح(3411)، وصحح إسناده حسين أسد.

نَفْسَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَوِيٌّ جَلْدٌ، فَوَجِّهْنِي فِي حَوَائِجِكَ وَابْعَثْنِي حَيْثُ شِئْتَ)(1).

عائلة مجاهدة الزوج والزوجة معًا في معركة يدافعون عن الإسلام العظيم، مقاتل شرس يحمي بصدره رسول الله من أن يصاب بأذًى، وهو يهتف رضي الله عنه قائلًا: " **نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ** ﷺ"(2).

هكذا كان يعبر أبو طلحة رضي الله عنه عن حبه لرسول الله ﷺ بالترجمة العملية على أرض الواقع، لا برفع شعارات مزيفة، جاء في الحديث عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه، يَقُولُ: (كَانَ أَبُو طَلْحَةَ رضي الله عنه إِذَا لَقِيَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْعَدُوَّ جَثَا بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، وَنَثَرَ كِنَانَتَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: وَجْهِي لِوَجْهِكَ الْوِقَاءُ، وَنَفْسِي لِنَفْسِكَ الْفِدَاءُ، وَعَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ غَيْرَ مُوَدَّعٍ)(3).

قتل وَحده في هذه المعركة أكثر من عشرين عدوًا للمسلمين لحديث أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمَ أُحُدٍ: (مَنْ قَتَلَ كَافِرًا فَلَهُ سَلَبُهُ، فَقَتَلَ أَبُو طَلْحَةَ يَوْمَئِذٍ عِشْرِينَ رَجُلًا)(4).

ولقد كان أبو طلحة رضي الله عنه رجلًا قلّ أمثاله، فصوته في المعركة **خير من ألف رجل** من المقاتلين في الجيش(5). جاء في التنوير شرح الجامع الصغير: أن هذه إحدى فضائل أبي طلحة لذلك قيد رفع الصوت في الجيش؛ "لأن الصوت الجهوري في غير الجيش مذموم، أو لأن هذه الفضيلة تختص به فيه"(6).

---

1 – الكشي/ المنتخب من مسند عبد بن حميد (301/2) ح(1345).

2 – أخرجه البخاري في صحيحه (37/5) ح(3811).

3 – ابن السني/ عمل اليوم والليلة ص(390) ح(441).

4 – أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (3/397) ح(5505).

5 – أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (397/3) ح(5503).

6 – الصناعي/التنوير شرح الجامع الصغير (7/7) ح(5031).

قد كان لعم أنس بن مالك رضي الله عنه – أنس بن النضر رضي الله عنه – صولة الأسد الهمام في **معركة أحد**، وهو الذي كان يعُد الدقائق لا الأيام منذ أن وضعت معركة بدر أوزارها، كان ينتظر بفارغ الصبر أن تنشب معركة جديدة بين الحق والباطل؛ لينصر الحق نصرًا مؤزرًا؛ ودعونا نترك المجال لابن أخيه يروي لنا ما حدث قَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه: (عَمِّيَ الَّذِي سُمِّيتُ بِهِ(1). لَمْ يَشْهَدْ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم بَدْرًا، قَالَ: فَشَقَّ عَلَيْهِ، قَالَ: أَوَّلُ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم غُيِّبْتُ عَنْهُ، وَإِنْ أَرَانِيَ اللهُ مَشْهَدًا فِيمَا بَعْدُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم لَيَرَانِي اللهُ مَا أَصْنَعُ(2)، قَالَ: فَهَابَ أَنْ يَقُولَ غَيْرَهَا(3)، قَالَ: فَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ: فَاسْتَقْبَلَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ لَهُ أَنَسٌ: يَا أَبَا عَمْرٍو، أَيْنَ؟ فَقَالَ: وَاهًا(4) لِرِيحِ الْجَنَّةِ أَجِدُهُ دُونَ أُحُدٍ(5)، قَالَ: فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ، قَالَ: فَوُجِدَ فِي جَسَدِهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ بَيْنِ ضَرْبَةٍ وَطَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ، قَالَ: فَقَالَتْ أُخْتُهُ –عَمَّتِيَ الرُّبَيِّعُ بِنْتُ النَّضْرِ– فَمَا عَرَفْتُ أَخِي إِلَّا بِبَنَانِهِ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣ ﴾(6)، قَالَ: فَكَانُوا يُرَوْنَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَصْحَابِهِ)(7).

ما أكثر الذكور في بلاد المسلمين في هذا الزمن؟.

---

1 – **عمي الذي سميت به**: أي باسمه وهو أنس بن النضير رضي الله عنه.

2 – **ليراني الله ما أصنع**: هكذا هو في أكثر النسخ ليراني بالألف وهو صحيح ويكون ما أصنع بدلًا من الضمير في يراني أي ليرى الله ما أصنع.

3 – **فهاب أن يقول غيرها**: أنه اقتصر على هذه اللفظة المبهمة وهي قوله ليراني الله ما أصنع مخافة أن يعاهد الله على غيرها فيعجز عنه أو تضعف بنيته عنه أو نحو ذلك وليكون أبرأ له من الحول والقوة.

4 – **واها لريح الجنة**: كلمة تحنن وتلهف.

5 – **أجده دون أحد**: محمول على ظاهره وأن الله تعالى أوجده ريحها من موضع المعركة وقد ثبتت الأحاديث أن ريحها توجد من مسيرة خمسمائة عام.

6 – سورة الأحزاب: الآية 23.

7 – أخرجه مسلم في صحيحه (1512/3) ح(1903).

وما أقل الرجال؟.

كيف وقد وصف الله أنس بن النضر رضي الله عنه بأنه رجل صدق فما غيّر ولا بدّل.

أتعلمون من هم الرجال في كتاب الله عز وجل: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧ ﴾(1).

أتعلمون أن هذا الرجل –أنس بن النضر رضي الله عنه– كان ممن إذا أقسم على الله استجاب الله له، وما طلب من الله شيئًا ورده خائبًا، ودعوني ألقب أنس بن مالك **بمؤرخ العائلة**، فهو حاضر في كل حادثة من حوادثها، وقد جاء أَنَّ أَنَسًا رضي الله عنه حَدَّثَهُمْ: **(أَنَّ الرُّبَيِّعَ وَهِيَ ابْنَةُ النَّضْرِ كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ(2) جَارِيَةٍ(3)، فَطَلَبُوا الأَرْشَ(4)، وَطَلَبُوا العَفْوَ(5)، فَأَبَوْا، فَأَتَوُا النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم، فَأَمَرَهُمْ بِالقِصَاصِ، فَقَالَ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ: أَتُكْسَرُ ثَنِيَّةُ الرُّبَيِّعِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، لاَ تُكْسَرُ ثَنِيَّتُهَا، فَقَالَ: يَا أَنَسُ كِتَابُ اللَّهِ القِصَاصُ(6)، فَرَضِيَ القَوْمُ وَعَفَوْا، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ(7). ...فَرَضِيَ القَوْمُ وَقَبِلُوا الأَرْشَ)(8).**

أتعلمون من استُشهد في هذه المعركة أيضًا، لقد استشهد ابن عمة أنس رضي الله عنه، فلئن كان أبوه مالكًا مات مشركًا؛ فقد أكرم الله أنسًا بأعمام وعمات سيكون لهم في

---

1 – سورة النور: الآيتين 36–37.

2 – **ثنية**: مفرد ثنايا وهي مقدم الأسنان.

3 – **جارية**: هي المرأة الشابة هنا لا الأمة.

4 – **الأرش**: دية الجراحة أو الأطراف.

5 – **العفو**: النزول عن حقهم وعدم أخذ الدية أو غيرها.

6 – **كتاب الله القصاص**: حكم كتاب الله تعالى القصاص وهو أن تكسر السن مقابل السن.

7 – **لأبره**: لصدقه وحقق رغبته لما يعلم من صدقه وإخلاصه.

8 – أخرجه البخاري في صحيحه (3/186) ح(2703).

الإسلام صولات وجولات، عوضه الله بمن يسانده ويؤازره في خدمة هذا الدين العظيم، كان حارثة –ابن عمته– غلامًا صغيرًا خرج مع القوم ينظر ما يكون في هذا اللقاء الأول من نوعه بين قوى الشر ممثلة بقريش، وبين قوى الحق بقيادة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، يروي لنا ذلك أَنَس رضي الله عنه فيَقُولُ: (**أُصِيبَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ وَهُوَ غُلَامٌ(1)، فَجَاءَتْ أُمُّهُ(2) إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ مِنِّي(3)، فَإِنْ يَكُنْ فِي الجَنَّةِ أَصْبِرْ وَأَحْتَسِبْ(4)، وَإِنْ تَكُ الأُخْرَى(5) تَرَى مَا أَصْنَعُ(6)، فَقَالَ: وَيْحَكِ(7)، أَوَهَبِلْتِ(8)، أَوَ جَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ، إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ**)(9).

جاءت عمة أنس الربيع بنت النضر رضي الله عنها إلى القائد العسكري الأعلى للقوات المسلحة الإسلامية لا بصفته العسكرية، ولا بصفته المدنية كرئيس للدولة؛ بل بصفته رسول رب العالمين؛ لأنها ستسأله عن أمر غيبي ربما أطلعه ربه سبحانه وتعالى عليه، كما قال مولانا عز وجل:

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ٢٧﴾(10).

هل جاءت لتسأل عن التعويضات والمكافآت؟.

---

1 – **غلام**: هو الصبي الذي لم يبلغ بعد. وكان خرج نظارًا فرماه حبان ابن العرقة بسهم وهو يشرب من الحوض فقتله.

2 – **أمه**: الربيع بنت النضر عمة أنس بن مالك رضي الله عنهما.

3 – **منزلة حارثة مني**: أي حبي وتعلقي به.

4 – **أحتسب**: أطلب الأجر والعوض من الله سبحانه وتعالى.

5 – **الأخرى**: أي إن كان في أهل النار.

6 – **ما أصنع**: أي من البكاء والنحيب ونحو ذلك.

7 – **ويحك**: كلمة ترحم واسفاق.

8 – **هبلت**: فقدت عقلك بفقد ابنك وقيل يرد بمعنى المدح والإعجاب وقيل أجهلت

9 – أخرجه البخاري في صحيحه (77/5) ح(3982).

10 – سورة الجن: الآيتين: 25 – 26.

هل جاءت تصرخ في وجه المقاومة عن سبب موت ابنها؟.

هل أخذت تولول بأن ابنها ما زال في ريعان شبابه وقد حصدت الحرب روحه البريئة؟.

كلا. لقد جاءت لتسأل عن مصير ابنها أهو في الجنة أو النار؟. فإن زحزح عن النار فقد فاز فوزًا عظيمًا، كما قال ﷻ: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾(1).

جاءت لتعرف مع أي الفريقين هو؟ كما قال ﷻ: ﴿... فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾(2). فجاءت البُشرى من النبي ﷺ بأنها جنان، وأنه نال الفردوس الأعلى، وهو أفضل ما في الجنة كما جاء في رواية أخرى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: (**أَنَّ الرُّبَيِّعَ بِنْتَ النَّضْرِ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ وَكَانَ ابْنُهَا حَارِثَةُ بْنُ سُرَاقَةَ أُصِيبَ يَوْمَ بَدْرٍ، أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ**(3)**، فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: أَخْبِرْنِي عَنْ حَارِثَةَ لَئِنْ كَانَ أَصَابَ خَيْرًا احْتَسَبْتُ وَصَبَرْتُ، وَإِنْ لَمْ يُصِبِ الخَيْرَ اجْتَهَدْتُ فِي الدُّعَاءِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي جَنَّةٍ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى وَالْفِرْدَوْسُ رَبْوَةُ الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُهَا وَأَفْضَلُهَا**)(4).

ولعل سائل يسأل عن أنس رضي الله عنه وغيابه عن المشهد؟

فأجيبه قائلًا: لقد كان ملازمًا للنبي ﷺ من أول معركة رغم صغر سنه، خرج رضي الله عنه في خدمة النبي ﷺ وقضاء حوائجه كما أورد الذهبي عَنْ مَوْلًى لأَنَسٍ

---

1 – سورة آل عمران: الآية 185.

2 – سورة الشورى: من الآية 7.

3 – **سَهْمٌ غَرْبٌ**: لا يدري من رماه، أو من أين أتاه (رصاصة طايشة).

4 – **صحيح**. أخرجه الترمذي في سننه (327/5) ح(3174).

رضي الله عنه أنَّه قَالَ لأَنَسٍ رضي الله عنه: "أَشَهِدْتَ بَدْرًا؟. فَقَالَ: **لاَ أُمَّ لَكَ، وَأَيْنَ أَغِيبُ عَنْ بَدْرٍ**"(1).

بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شارك أنس رضي الله عنه في حروب الردة مع جيش المسلمين وكان واحدًا من الرماة البارعين، وشارك في فتوحات العراق والشام وكان أحد جنود المسلمين في القادسية(2).

وإليك واقعة أخرى تبين لك مدى حب هذه العائلة للجهاد في سبيل الله: فها هي خالة أنس رضي الله عنها تطلب أن تكون من المجاهدين الذين يخوضون غمار البحار للقتال في سبيل الله تبارك وتعالى كما روي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قال: **(كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ فَتُطْعِمُهُ -وَكَانَتْ أُمُّ حَرَامٍ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ(3)- فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَأَطْعَمَتْهُ وَجَعَلَتْ تَفْلِي رَأْسَهُ(4)، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا البَحْرِ(5) مُلُوكًا عَلَى الأَسِرَّةِ(6)، أَوْ: مِثْلَ المُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ، شَكَّ إِسْحَاقُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقُلْتُ: وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ - كَمَا قَالَ فِي الأَوَّلِ - قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ**

---

1 - **انظر**؛ الذهبي/سير أعلام النبلاء (4/ 417).

2 - **انظر**؛ ابن سعد/الطبقات الكبرى (212/4)، ابن كثير/البداية والنهاية (52/4).

3 - **تحت عبادة**: زوجته.

4 - **تفلي رأسه**: تفتش عن القمل فيه وتلقيه منه، وكانت أم حرام رضي الله عنها محرمًا منه صلى الله عليه وآله وسلم، فقد قيل: إن أختها أم سليم كانت أخت أمه من الرضاعة، ... وقد كان ذلك قبل أن يفرض الحجاب، وهي خالة خادمه أنس رضي الله عنه وكانت العادة تقتضي المخالطة بين المخدوم وأهل الخادم.

5 - **ثبج هذا البحر**: وسطه وظهره.

6 - **الأسرة**: جمع سرير وهو يجلس عليه الملوك وأمثالهم والمعنى. أنهم لا يبالون في ركوبهم البحر في سبيل الله تعالى بشيء وفيه إشارة إلى منازلهم في الجنة وأنهم على سرر متقابلين .

أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِينَ(1)، فَرَكِبَتِ البَحْرَ فِي زَمَانِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ(2)، فَصُرِعَتْ(3) عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنَ البَحْرِ، فَهَلَكَتْ(4))(5).

أتظنون أن هذه الأسرة المجاهدة رأت أنها قدّمت للإسلام الكثير وقد آن لها أن تجني ثمار هذه التضحيات، إنه مجاهد في سبيل الله حتى الرمق الأخير وقد جاوز السبعين من عمره (6) كما جاء عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: (أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ، قَرَأَ سُورَةَ بَرَاءَةً، فَأَتَى عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾(7). فَقَالَ: أَلَا أَرَى رَبِّي يَسْتَنفِرُنِي شَابًّا وَشَيْخًا، جَهِّزُونِي، فَقَالَ لَهُ بَنُوهُ: قَدْ غَزَوْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم حَتَّى قُبِضَ، وَغَزَوْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى مَاتَ وَغَزَوْتُ مَعَ عُمَرَ، فَنَحْنُ نَغْزُو عَنْكَ، فَقَالَ: جَهِّزُونِي، فَجَهَّزُوهُ وَرَكِبَ الْبَحْرَ، فَمَاتَ، فَلَمْ يَجِدُوا لَهُ جَزِيرَةً يَدْفِنُونَهُ فِيهَا إِلَّا بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ فَلَمْ يَتَغَيَّرْ)(8). فلقد كان زاهدًا في الدنيا راغبًا في الآخرة، ومن زهده في الدنيا أنه كان لا يُحب الإمارة، وينهى أن يكون الواحد أميرًا على اثنين(9) لقد استحق لقب فارس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن جدارة واقتدار.

في شهر صفر من السنة الرابعة من الهجرة(10). يصل خبر استشهاد خال أنس رضي الله عنه

---

1 – الأولين: الذين يركبون البحر في سبيل الله تعالى قبل غيرهم ويستشهدون في هذا.

2 – زمن معاوية: أي في ولايته وخلافة عثمان رضي الله عنهما.

3 – فصرعت: فسقطت.

4 – فهلكت: فماتت.

5 – أخرجه البخاري في صحيحه (4/ 16) ح(2788).

6 – النووي/تهذيب الأسماء واللغات (245/2).

7 – صحيح. أخرجه ابن حبان في صحيحه (16/ 152) ح(7184).

8 – سورة التوبة: من الآية 41.

9 – عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ رضي الله عنه قَالَ: "لَا أَتَأَمَّرُ عَلَى اثْنَيْنِ، ..." أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (397/3) (5507).

10 – انظر؛ ابن كثير/ البداية والنهاية (82/4)، المباركفوري/الرحيق المختوم ص (265).

وهو الصحابي الجليل **حرام** رضي الله عنه عالمًا من علماء المسلمين في واقعة هزت المجتمع المسلم عُرفت في التاريخ باسم **واقعة بئر معونة** يروي لنا قصة استشهاد هذا البطل ابن أخته أنس رضي الله عنه قَالَ: **بَعَثَ النَّبِيُّ** صلى الله عليه وآله وسلم **أَقْوَامًا**(1). **مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ إِلَى بَنِي عَامِرٍ فِي سَبْعِينَ، فَلَمَّا قَدِمُوا قَالَ لَهُمْ خَالِي: أَتَقَدَّمُكُمْ فَإِنْ أَمَّنُونِي حَتَّى أُبَلِّغَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ** صلى الله عليه وآله وسلم**، وَإِلَّا كُنْتُمْ مِنِّي قَرِيبًا، فَتَقَدَّمَ فَأَمَّنُوهُ، فَبَيْنَمَا يُحَدِّثُهُمْ عَنِ النَّبِيِّ** صلى الله عليه وآله وسلم **إِذْ أَوْمَئُوا**(2). **إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ فَطَعَنَهُ، فَأَنْفَذَهُ**(3)**، فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، فُزْتُ وَرَبِّ الكَعْبَةِ، ثُمَّ مَالُوا عَلَى بَقِيَّةِ أَصْحَابِهِ، فَقَتَلُوهُمْ إِلَّا رَجُلًا أَعْرَجَ صَعِدَ الجَبَلَ، قَالَ هَمَّامٌ: فَأُرَاهُ آخَرَ مَعَهُ، فَأَخْبَرَ جِبْرِيلُ** عليه السلام **النَّبِيَّ** صلى الله عليه وآله وسلم**، أَنَّهُمْ قَدْ لَقُوا رَبَّهُمْ، فَرَضِيَ عَنْهُمْ، وَأَرْضَاهُمْ، فَكُنَّا نَقْرَأُ**(4): **أَنْ بَلِّغُوا قَوْمَنَا أَنْ قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا، وَأَرْضَانَا، ثُمَّ نُسِخَ بَعْدُ، فَدَعَا عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا**(5) **عَلَى رِعْلٍ وَذَكْوَانَ وَبَنِي لَحْيَانَ وَبَنِي عُصَيَّةَ الَّذِينَ عَصَوُا اللَّهَ وَرَسُولَهُ** صلى الله عليه وآله وسلم**)**(6).

فاجعة عظيمة أدخلت الحزن على المسلمين، ومن شدة هول هذه المصيبة دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أربعين يومًا على هذه الفئة الخائنة عديمة الشرف والمروءة.

ولقد كان لموته أثر بالغ في حياة أختيه أم سُليم وأم حرام –وكأن الأخيرة كنَّت نفسها على اسم أخيها– فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتفقد **أسر الشهداء** لمواساتهم على هذا الفقد

---

1 – **المبعوثون**: هم رجال من الأنصار كانوا يتعلمون القرآن ويأخذون العلم ويكونون قوة للمسلمين إذا نزلت فيهم نازلة أو دعا داعي الجهاد بعثهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أهل نجد يدعونهم إلى الإسلام فلما نزلوا بئر معونة قصدهم عامر بن الطفيل ومعه أحياء من بني سليم وهم رعل وذكوان وبنو لحيان وعصية فقتلوهم.

2 – **أومؤوا**: أشاروا.

3 – **فأنفذه**: أصابه بجراحة نفذت من جوفه إلى الجانب الآخر من بدنه.

4 – **نقرأ**: أي نزل المذكور قرآنا في حقهم ثم نسخت تلاوته.

5 – **أربعين صباحًا**: في قنوت صلاة الفجر.

6 – أخرجه البخاري في صحيحه (18/4) ح(2801).

للأحبة فقد جاء عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: (**أَنَّ النَّبِيَّ** صلى الله عليه وآله وسلم **لَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ بَيْتًا**(1) **بِالْمَدِينَةِ غَيْرَ بَيْتِ أم سُلَيم إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِ، فَقِيلَ لَهُ**(2)**، فَقَالَ: إِنِّي أَرْحَمُهَا**(3) **قُتِلَ أَخُوهَا**(4) **مَعِي**(5))(6).

أتظنون موت أخيها حد من شوقها للجهاد في سبيل الله؟.

لا. والله.

ما صدها لا هي ولا أختها ؛ بل أشعل ذلك جذوة الجهاد والمقاومة فيها وفي أختها أم حرام رضي الله عنها كما جاء ذلك عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنْ أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ رضي الله عنها، قَالَتْ: (**أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ** صلى الله عليه وآله وسلم **وَقَالَ عِنْدَنَا، فَاسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي وَأُمِّي مَا أَضْحَكَكَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ قَوْمًا مِنْ أُمَّتِي يَرْكَبُونَ هَذَا الْبَحْرَ كَالْمُلُوكِ عَلَى الْأَسِرَّةِ. قُلْتُ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: فَإِنَّكِ مِنْهُمْ ثُمَّ نَامَ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ - يَعْنِي مِثْلَ مَقَالَتِهِ -، قُلْتُ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: أَنْتِ مِنَ الْأَوَّلِينَ، فَتَزَوَّجَهَا عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، فَرَكِبَ الْبَحْرَ وَرَكِبَتْ مَعَهُ، فَلَمَّا خَرَجَتْ قُدِّمَتْ لَهَا بَغْلَةٌ، فَرَكِبَتْهَا، فَصَرَعَتْهَا فَانْدَقَّتْ عُنُقُهَا**)(7).

كيف لا تسارع إلى ضمان الجنة بعد أن علمت من المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أن من شارك في هذه المعركة وجبت له الجنة كما في الحديث عن عُمَيْرَ بْنَ الأَسْوَدِ العَنْسِيَّ، حَدَّثَهُ - أَنَّهُ أَتَى عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ وَهُوَ نَازِلٌ فِي سَاحَةِ حِمْصَ وَهُوَ فِي بِنَاءٍ لَهُ، وَمَعَهُ أُمُّ حَرَامٍ قَالَ: عُمَيْرٌ، فَحَدَّثَتْنَا أُمُّ حَرَامٍ: أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم، يَقُولُ: (**أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ**

---

1 - **لم يدخل بيتًا**: أي يكثر الدخول إليه؛ لكونها خالة أمه من الرضاع.

2 - **فقيل له**: فسئل عن سبب كثرة دخوله.

3 - **أرحمها**: أرق لها وأعطف عليها.

4 - **أخوها**: حرام بن ملحان قتل يوم بئر معونة.

5 - **معي**: مع عسكري نصرة للدين.

6 - أخرجه البخاري في صحيحه (27/4) ح(2844).

7 - **صحيح**. أخرجه النسائي في سننه (41/6) ح(3172).

أُمَّتِي يَغْزُونَ البَحْرَ قَدْ أَوْجَبُوا(1)، **قَالَتْ أُمُّ حَرَامٍ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا فِيهِمْ؟ قَالَ: أَنْتِ فِيهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ** ﷺ: **أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ، فَقُلْتُ: أَنَا فِيهِمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لاَ**(2). ماتت في جزيرة قبرص كما جاء عند أبي داوود قال: "وماتت بنتُ مِلحان بقُبرسَ"(3). قال السهارنفوري: "وذلك سنة ثمان وعشرين، وكان ذلك في خلافة عثمان، ومعاوية يومئذ أمير الشام رضي الله عنهما"(4)، وكانوا يقولون عن قبرها: "**هَذَا قَبْرُ الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ**"(5).

والمتأمل في الحديث يجد أن كلا الأختين متزوجة من مجاهد سواء كان أبو طلحة أو عبادة بن الصامت رضي الله عنهما.

وليس الأمر مقتصرًا على من ذكرنا من هذه النماذج، فالعائلة ما زالت حُبلى بالعديد من المجاهدين، وها نحن مع أحد الصناديد الكبار، ابن آخر لأم سُليم وهو **البراء بن مالك** رضي الله عنه(6).

---

1 - **أوجبوا**: أوجبوا لأنفسهم دخول الجنة بجهادهم في سبيل الله تعالى.

2 – أخرجه البخاري في صحيحه (42/4) ح(2924).

3 – أبي داود/ سنن أبي داود (4/ 148) ح(2491).

4 – السهارنفوري: بذل المجهود في حل سنن أبي داود (32/9).

5 – الطبراني/المعجم الكبير (130/25) ح(316).

6 – خلاف في كون البراء أخًا شقيقًا لأنس، أم أنه أخوه من أبيه ربته أم سليم، **وقيل** أخوه من الرضاعة أرضعته أم سليم ﷺ قاله الشيخ محمد علي آدم في ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (130/29) البراء بن مالك، كان أخا أنس بن مالك شقيقه، فعلى هذا فأُمهم جميعًا أم سُليم، ولم ينقل أن أم سُليم، تزوّجت عبدة بن مُعتّب قط. لكن يُجاب عن هذا بأنه كان أخا البراء لأمه من الرضاعة، **انظر**؛ مسلم/ صحيح مسلم (2/ 1134) ح(1496)، ابن حجر/ الإصابة في تمييز الصحابة (278/3)، ابن الأثير/أسد الغابة في معرفة الصحابة (206/1)، ابن الجوزي/ تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير ص (102)، المناوي/التيسير بشرح الجامع الصغير (222/2)، ابن الملقن/التوضيح لشرح الجامع الصحيح(446/25).

ومع هذا البطل لا تعرف من أين تبدأ الحكاية، وقبل أن نتحدث عن بطولاته العسكرية وودت أن ألفت انتباهك أيّها القارئ الكريم أننا أمام رجل مُستجاب الدعوة لو دعا مولاه ما رده إلا وقد استجاب له، وقد أُعلن الخبر على الملأ، جاء في الحديث عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: **(كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ**(1) **لاَ يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ مِنْهُمُ البَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ)** قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ(2).

رجل يحمل شهادة الرضوان، فهو ممن بايع تحت الشجرة(3) كما قال الله عز وجل في كتابه: ﴿ * لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ (4).

له صوت جميل شجي يترنم به، ينشد فيه الأشعار، وكان يحدو بالرجال كما جاء عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، **(أَنَّ الْبَرَاءَ بْنَ مَالِكٍ، كَانَ يَحْدُو بِالرِّجَالِ)**(5).

فقد شهد مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم المشاهد كلها إلا بدرًا –لاعتقاد أكثر الصحابة رضي الله عنهم أنه لن تكون هناك مواجهة عسكرية–، وكان مقدامًا شجاعًا لا يهاب الموت، يخترق صفوف الأعداء لا يهاب منهم أحدًا، حتى أن الفاروق عمر رضي الله عنه كان ينهى أن يكون البراء رضي الله عنه على رأس جيش من الجيوش وكتب إلى عمّاله قائلًا: " **لَا تستعملوا الْبَراء على جَيش من جيوش الْمُسلمين فَإِنَّهُ مهلكة يقدم بهم**"(6).

---

1 – **الطمر**. الثوب البالي.

2 – **صحيح**. أخرجه الترمذي في سننه (692/5) ح(3854).

3 – الذهبي/سير أعلام النبلاء (125/3).

4 – سورة الفتح: الآيتين 18–19.

5 – **صحيح**. أخرجه الإمام أحمد في مسنده (248/21) ح(13670).

6 – **انظر**، الحاكم/المستدرك على الصحيحين (330/3)، ابن كثير/البداية والنهاية (85/7)، ابن الجوزي/ تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير ص(102).

ولم يكن ذلك استهانة بقدرات البراء مطلقًا، فالقائد الأعلى لقوات المسلمين المسلحة يعلم جيدًا القدرات القتالية التي يتمتع بها هذا المجاهد، وها هو يصرح بذلك عندما احتاج جيش المسلمين الذين يحررون بلاد الفرس على الدعم، أصدر عمر ﷺ مرسومًا عسكريًّا إلى أبي موسى ﷺ وهو على البصرة نصه "**ابعث إلى الأهواز**(1) **جندًا كثيفًا وأمّر عليهم سهيل بن عدي وابعث معه البراء بن مالك ...**"(2).

كان زاهدًا في الدنيا وما فيها، حتى عدّه المؤرخون من أهل الصُّفَّة(3)، هاربًا من الإمارة، محبًا للجهاد في سبيل الله، وليس أدلّ على ذلك هذا الحوار الذي جرى بينه وبين أبي موسى الأشعري ﷺ يروي لنا ذلك أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: **(لَمَّا بَعَثَ أَبُو مُوسَى عَلَى الْبَصْرَةِ كَانَ مِمَّنْ بَعَثَ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ وَكَانَ مِنْ وَرَائِهِ، فَكَانَ يَقُولُ لَهُ: اخْتَرْ عَمَلًا، فَقَالَ الْبَرَاءُ: وَمُعْطِيَّ أَنْتَ مَا سَأَلْتُكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَا أَسْأَلُكَ إِمَارَةَ مِصْرٍ وَلَا جِبَايَةَ خَرَاجٍ، وَلَكِنْ أَعْطِنِي قَوْسِي، وَفَرَسِي، وَرُمْحِي، وَسَيْفِي، وَذَرْنِي إِلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَبَعَثَهُ عَلَى جَيْشٍ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ قَاتَلَ)**(4).

كان مغرمًا بمبارزة الشجعان، وقد ذاع ذلك عنه واشتُهر، حتى وصل عدد الذين قتلهم مبارزة إلى مائة مبارز، يخبر بذلك أخاه أنسًا ﷺ بنفسه فيقول: **(أَيْ أَنَسَ أَتُرَانِي أَمُوتُ عَلَى فِرَاشِي، وَقَدْ قَتَلْتُ مِائَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ مُبَارَزَةً، سِوَى مَنْ شَارَكْتُ فِي قَتْلِهِ)**(5).

ولك أن تتخيل معي هذا المشهد والبطل يذبح خصمه بالسيف ذبحًا، يرويه لنا أخوه أنس ﷺ لتعرف مدى قوة وشجاعة هذا الفارس الصنديد فيقول: **(أَنَّ الْبَرَاءَ بْنَ مَالِكٍ**

---

1 – **الأهواز**: مدينة تقع جنوب غرب إيران.

2 – الكلاعي/الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء (290/4).

3 – أبو نعيم/حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 350).

4 – مصنف ابن أبي شيبة (6/ 470) ح(33015).

5 – أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (26/2) ح(1178).

قَتَلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِائَةَ رَجُلٍ إِلَّا رَجُلًا مُبَارَزَةً، وَإِنَّهُمْ لَمَّا غَزَوَا الزَّارَةَ خَرَجَ دِهْقَانُ(1) **الزَّارَةِ**(2) **فَقَالَ: رَجُلٌ وَرَجُلٌ , فَبَرَزَ إِلَيْهِ الْبَرَاءُ، فَاخْتَلَفَا بِسَيْفَيْهِمَا ثُمَّ اعْتَنَقَا، فَتَوَرَّكَهُ الْبَرَاءُ فَقَعَدَ عَلَى كَبِدِهِ، ثُمَّ أَخَذَ السَّيْفَ فَذَبَحَهُ، وَأَخَذَ سِلَاحَهُ...)**(3).

إذا لم يدهشك هذا المشهد كثيرًا، فلتنتقل معي إلى **مشهد ثان**، مشهد من مشاهد معركة الحريق بالعراق(4)، تشعر أنك أمام أسد لا يخشى الموت، وتدرك كم المحبة التي سكنت قلب الأخوين أنس والبراء رضي الله عنهما، وتحلق في عالم الحب والتضحية، يسمع البراء رضي الله عنه –وهو منشغل بمقارعة العدو– من يناديه لنجدة أخيه من براثن الموت المُحقق، يلتفت فيرى أحد الخطافات المربوطة في سلسلة من حديد قد أحميت بالنار منتهية بحبل شديد عليه جنود قساة، تختطف أخاه أنسًا رضي الله عنه عن أرض المعركة لتلقي به في حصن من حصون العدو، ويدرك ذلك الخبير العسكري بأن هذه طريقة جديدة يستعملها العدو لتصفية أفراد جيش المسلمين، فيحلق كالصقر حتى يُمسك بالسلسلة الملتهبة بكلتا يديه العاريتين، ويتصاعد الدخان من يديه، وتنتشر رائحة لحم يُشوى، وأخذ يجر السلسلة إليه حتى قطع الحبل، وقطع معه أمل العدو في خطف أخيه، ثم نظر إلى يديه فإذا بعظامهما قد بانت بعد أن تساقط اللحم المشوي عنهما. ولم يُعر البطل يديه اهتمامًا فهو قد انتصر عندما رأى أخاه أنسًا رضي الله عنه حرًا طليقًا.

---

1 – **الدِّهْقانُ** والدُّهقان: التاجر. **انظر**؛ ابن منظور/لسان العرب (106/10). **وقيل**: رئيس القرية.

2 – الزارة أو زارة القطيف: هي بلدة أثرية من قرى القطيف القديمة تقع شمال بلدة العوامية، في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية. ضُمَّت الزارة قديمًا إلى اتخاذها عاصمة بلاد البحرين القديمة وحاضرة الخط طيلة العصر الجاهلي وحتى العصور الإسلامية الأولى. **انظر**؛ https://ar.wikipedia.org/wiki

3 – البيهقي/ السنن الكبرى (506/6) ح(12788).

4 – الطبراني/المعجم الكبير (27/2) ح(1182).

لعلك تشوقت أيها القارئ الكريم إلى **مشهد ثالث** من بطولات البراء بن مالك، ولا أطيل عليك، فالمشهد هذه المرة من معركة اليمامة أو ما تعرف بـ (حدائق الموت)(1)، بينما مسيلمة الكذاب وجيشه يتحصن خلف تلك الأسوار العالية، ويُذيق المسلمين من خلفها الويلات برشقات من الأسهم، وقد أغلقوا على أنفسهم، وتساءل المسلمون كيف السبيل إليهم، وهنا يصرخ البراء ﷺ فيهم أن يضعوه في ترس ومن ثَمّ يحملوه على رماحهم، حتى يلقوا به خلف جدار حديقة الموت، أرض مخضبة بالدماء، مليئة بالجماجم والأشلاء.

يقفز بطلنا ﷺ عن الترس ويلتحم مع العدو للوصول على الهدف، وهو فتح الباب أمام ليوث الإسلام.

وكأنه يتمثل قول قائد المعركة خالد بن الوليد ﷺ: " **لَأُلْقِيَنَّكُمْ بِقَوْمٍ يُحِبُّونَ الْمَوْتَ كَمَا تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ**"(2).

أتُرى الأمر بهذه السهولة، يتلقفه وهو هاوٍ من السور مقاتلو العدو، فيشتبك معهم بمجرد وصول قدميه الأرض، ويقتل منهم عشرة مقاتلين في طريق وصوله إلى هدفه، ويفتح الباب، وتقتحم جحافل المسلمين الحديقة، ويتم القضاء على زعيم الرِّدة، ويموت مدّعِ النبوة، ويتفقد المسلمون ذلك البطل فإذا به بضع وثمانون ما بين ضربة بسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، وإذا بدماء البطل تسيل من كل جسده.

يحتمله المسلمون إلى رحله، ويُسارع إليه القائد خالد بن الوليد ﷺ، ويُصر أن يطببه ويداويه ويسهر على راحته شهرًا كاملًا، حتى عادت إليه عافيته، وتداوى من جراحاته.

ونختم **بمشهد آخر**(1) يوم تستر(2) والذي امتد قرابة ثمانية عشر شهرًا، وقد استجمع الفرس قواهم بقيادة المرزبان(3) لمواجهة جيش التحرير الزاحف، متمثلين قول ربعي بن

---

1 – **انظر**، البيهقي/السنن الكبرى (77/9) ح(17921)، ابن حجر/الإصابة في تمييز الصحابة (412/1)، ابن الأثير/أسد الغابة (206/1)، الذهبي/سير أعلام النبلاء (125/3).

2 – ابن زنجويه/الأموال (136/1).

عامر رضي الله عنه في موعود الله لهم: "**اللَّهُ ابْتَعَثْنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَمِنْ ضِيقِ الدنيا إِلَى سِعَتِهَا، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ، فَأَرْسَلَنَا بِدِينِهِ إِلَى خَلْقِهِ لِنَدْعُوَهُمْ إِلَيْهِ، فَمَنْ قَبِلَ ذَلِكَ قَبِلْنَا مِنْهُ وَرَجَعْنَا عَنْهُ، وَمَنْ أَبَى قَاتَلْنَاهُ أَبَدًا حَتَّى نُفْضِيَ إِلَى مَوْعُودِ اللَّهِ. قَالُوا: وَمَا مَوْعُودُ اللَّهِ؟ قَالَ: الْجَنَّةُ لِمَنْ مَاتَ عَلَى قِتَالِ مَنْ أَبَى، وَالظَّفَرُ لِمَنْ بَقِيَ**"(4).

كان حصارًا استنزف فيه العدو المسلمين، وأوجعوهم، وانتبه الناس إلى ورقة رابحة معهم، تذكروا أنه من بين أبطال هذا الجيش رجلًا مُستجاب الدعوة، ألا وهو البراء بن مالك، فما أحوجهم الآن لرجل يرفع أكف الضراعة إلى ربه فلا يرده صفر اليدين، يتسابقون نحوه مذكرين إياه أنه ممن أخبر عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لو أقسم على الله لأبره(5)، فَقَالُوا لَهُ: **(يَا بَرَاءُ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: إِنَّكَ لَوْ أَقْسَمْتَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّكَ، فَأَقْسِمْ عَلَى رَبِّكَ. فَقَالَ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ يَا رَبِّ لَمَا مَنَحْتَنَا أَكْتَافَهُمْ فَمُنِحُوا أَكْتَافَهُمْ ثُمَّ الْتَقَوْا عَلَى قَنْطَرَةِ السُّوسِ فَأَوْجَعُوا فِي الْمُسْلِمِينَ فَقَالُوا: يَا بَرَاءُ أَقْسِمْ عَلَى رَبِّكَ فَقَالَ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ يَا رَبِّ لَمَا مَنَحْتَنَا أَكْتَافَهُمْ، وَأَلْحِقْنِي بِنَبِيِّكَ** صلى الله عليه وآله وسلم **فَمُنِحُوا**

---

1 – **انظر**، البيهقي/ شعب الإيمان (89/13)، الحاكم/المستدرك على الصحيحين (331/3) ح(5274)، ابن حجر/الإصابة في تمييز الصحابة (412/1)، الذهبي/ سير أعلام النبلاء (125/3)، ابن الأثير/ أسد الغابة (206/1)، ابن الجوزي/ تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير ص(102)، أبو نعيم/ معرفة الصحابة (381/1)، أبو نعيم/حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (350/1)، ابن سعد/الطبقات الكبرى (17/7)، ابن عبد البر/الاستيعاب في معرفة الأصحاب (155/1)،

2 – **تُسْتَر**: مدينة قديمة في إيران فتحها البراء بن مالك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت هي والأهواز أهم مدينتين في إقليم خوزستان في ظل الدولة الإسلامية. **انظر**، ابن حبان/ المجروحين(8/1).

3 – **الْمَرْزُبَان**: رَئِيس الْفرس، أَو الْفَارِس الشجاع الْمُقدم على الْقَوْم، وَهُوَ دون الْملك فِي الرُّتْبَة، (ج) مرازبة. **انظر**، مصطفى وآخرون/ المعجم الوسيط (341/1).

4 – ابن كثير/ البداية والنهاية (47/7).

5 – **صحيح**. أخرجه الترمذي في سننه (692/5) ح(3854).

أَكْتَافَهُمْ، وَقُتِلَ الْبَرَاءُ شَهِيدًا)(1).

استجاب الله ﷻ لعبده البراء بن مالك فجاءت البشارة أن نفقًا تحت الماء يمكن العبور منه إلى داخل حصن العدو، ودخل المسلمون الحصن، ونظر البراء إلى الهرمزان، الذي نقض العهد مع المسلمين أكثر من مرة، ولكنه كان بعيدًا عن يدي البراء، فأخذ يشق الصفوف للوصول إليه، وقتل البراء مائة فارس من فرسان العدو، ووصل إليه واختلفا ضربتين واستشهد البراء في أرض المعركة، بعد أن أعياه التعب، وأثخنته الجراح.

وكأن هذه العائلة الكريمة تتمثل قول أبي بكر الصديق لخالد بن الوليد رضي الله عنهما: "**احْرِصْ عَلَى الْمَوْتِ؛ تُوهَبْ لَكَ الْحَيَاةُ**"(2).

---

1 – **انظر**، البيهقي/شعب الإيمان (90/13) ح(10001)، الحاكم/ المستدرك على الصحيحين (331/3) ح(5274).

2 – الدينوري/المجالسة وجواهر العلم (61/3) ح(671)، وضعّف إسناده مشهور بن حسن.

رابعًا: أم سُليم رضي الله عنها والتربية الأمنية

أما في جانب التربية الأمنية فقد كان لها دور بارز في حسن تربية ابنها أنس رضي الله عنه عليه، فقد علمته أن أسرار القائد تُحفظ ولا تُفشى حتى لأقرب المقربين، وقد تعلم أنس رضي الله عنه الدرس ووعاه جيدًا، فلم يُفش سرًا لرسول الله حتى لأمه التي أنجبته(1)، لا حال حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا بعد موته، يخبرنا بذلك ثَابِتٌ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: (**أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، قَالَ: فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ، فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي، فَلَمَّا جِئْتُ قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْتُ بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم لِحَاجَةٍ، قَالَتْ: مَا حَاجَتُهُ؟ قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ، قَالَتْ: لَا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم أَحَدًا. قَالَ أَنَسٌ: وَاللهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا لَحَدَّثْتُكَ يَا ثَابِتُ**)(2).

وعَنْه أيضًا رضي الله عنه، قَالَ: (**انْتَهَى إِلَيْنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم، وَأَنَا فِي غِلْمَانٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدَيَّ، فَأَرْسَلَنِي بِرِسَالَةٍ وَقَعَدَ فِي ظِلِّ جِدَارٍ - أَوْ فِي جِدَارٍ - حَتَّى رَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا أَتَيْتُ أم سُلَيم، قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم بِرِسَالَةٍ، قَالَتْ: وَمَا هِيَ؟ قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ، قَالَتْ: احْفَظْ سِرَّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَمَا أَخْبَرْتُ بِهِ بَعْدُ أَحَدًا قَطُّ**)(3).

---

1 - إن إفشاء الأسرار ليس قاصرًا على الأسرار الأمنية والعسكرية، فهي تشمل جميع مناحي الحياة، كما في حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: (**إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الحَدِيثَ ثُمَّ التَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ**)، فطالما تم مفارقة المجلس فقد أصبح ما كان من حديثٍ أمانة لا يجوز إضاعتها خاصة ما يتعلق بالبيوت؛ لأن إفشاء أسرار البيوت، وما يتم من حوار بين الزوجين سبب رئيس من أسباب هدم عش الزوجية، وربما كانت المرأة تتحدث مع صديقتها أو جارتها من باب الفضفضة و(الدردشة)، ومن ثم تقوم الأخيرة بإفشاء الحديث الذي دار بينهما، ويصل الأمر إلى الزوج فيغضب غضبًا شديدًا لإفشاء سر بيته، وربما وصل الأمر إلى الطلاق(وهذا يشمل الرجل أيضًا)؛ لذلك حري بكل عاقل وعاقلة أن يأخذ هذا الأمر على محمل الجد، وألا يتهاون فيه؛ لما يترتب عليه من مفاسد عظيمة.

2 - أخرجه مسلم في صحيحه (1929/4) ح(2482).

3 - **صحيح**. أخرجه الإمام أحمد في مسنده (21/ 129) ح(13469).

ولقد كان أبو طلحة رضي الله عنه رجل أمن من الطراز الأول، حتى أنه تم اختياره من قِبل عمر رضي الله عنه ليشرف على العملية الانتخابية لأمير المؤمنين القادم، الذي سيليه في الخلافة، وكانت الأوامر مشددة بقطع رأس كل من يخالف ليشق عصا المسلمين ويفرق جماعتهم(1).

1 - **انظر**؛ ابن حجر/فتح الباري (68/7).

أم سُليم رضي الله عنها والبشارة بالجنة

كتب الله الموت على كل المخلوقات، وكان لا بد أن ترسو سفينة حياة أم سُليم رضي الله عنها إلى شاطئ المحطة الأخيرة في دار الدنيا، فحطت أم سُليم رحالها وهي حريصة أن تلقى ربها سبحانه وتعالى وزوجها عنها راضٍ؛ لأنه سبب رئيس من أسباب دخول الجنة كما جاء عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: (**أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتِ الْجَنَّةَ**)(1).

حرصت أم سُليم رضي الله عنها على كل ما مر معنا لا سيما رضى زوجها مع أنها بُشرت بأنها من أهل الجنة كما في الحديث عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: (**دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْفَةً**(2)، **فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذِهِ الْغُمَيْصَاءُ**(3) **بِنْتُ مِلْحَانَ أُمُّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ**)(4). وفي رواية عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: (**أُرِيتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ امْرَأَةَ أَبِي طَلْحَةَ، ثُمَّ سَمِعْتُ خَشْخَشَةً أَمَامِي فَإِذَا بِلَالٌ**)(5). امرأة مبشرة بأنها من أهل الجنة وهي ما زالت تسير على قدميها على هذه الأرض؛ لكنها لم تركن إلى الدنيا. ولم تركن إلى ما قدمته من خير قبل هذه البشرى، عاشت حياة حافلة بالجهاد والمجاهدة.

هنيئًا لك شهادة الرضوان، من الرب الكريم المنان، فقد قال الله عز وجل في كتابه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾(6).

---

1 – **حسن**. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (178/11) ح(8370).

2 – **خشفة**: هي حركة المشي وصوته.

3 – **الغميصاء**: ويقال لها الرميصاء، ويقال بالسين، وهو قذى يابس وغير يابس يكون في أطراف العين.

4 – أخرجه مسلم في صحيحه (1908/4) ح(2456).

5 – أخرجه مسلم في صحيحه (1908/4) ح(2457).

6 – سورة التوبة: الآية 100.

أم سُليم رضي الله عنها في السُّنة المطهرة

بعد أن عشنا سويًّا قصة أم سُليم رضي الله عنها سأورد روايات الحديث الذي من خلاله عشتُ قصة حياة أم سُليم رضي الله عنها من خلال كتب السنة المطهرة التي استطعت جمعها.

عن أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه قال: (اشْتَكَى(1) ابْنٌ لِأَبِي طَلْحَةَ، قَالَ: فَمَاتَ، وَأَبُو طَلْحَةَ خَارِجٌ، فَلَمَّا رَأَتِ امْرَأَتُهُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ هَيَّأَتْ شَيْئًا(2)، وَنَحَّتْهُ(3) فِي جَانِبِ البَيْتِ، فَلَمَّا جَاءَ أَبُو طَلْحَةَ قَالَ: كَيْفَ الغُلاَمُ، قَالَتْ: قَدْ هَدَأَتْ نَفْسُهُ(4)، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدِ اسْتَرَاحَ، وَظَنَّ أَبُو طَلْحَةَ أَنَّهَا صَادِقَةٌ(5)، قَالَ: فَبَاتَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ اغْتَسَلَ(6)، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ أَعْلَمَتْهُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ، فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ أَخْبَرَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بِمَا كَانَ مِنْهُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُبَارِكَ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا، قَالَ سُفْيَانُ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ(7): فَرَأَيْتُ لَهُمَا(8) تِسْعَةَ أَوْلاَدٍ كُلُّهُمْ قَدْ قَرَأَ القُرْآنَ(9))(10).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه **قَالَ: (كَانَ ابْنٌ لِأَبِي طَلْحَةَ يَشْتَكِي، فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ، فَقُبِضَ الصَّبِيُّ، فَلَمَّا رَجَعَ أَبُو طَلْحَةَ، قَالَ: مَا فَعَلَ ابْنِي، قَالَتْ أم سُليم: هُوَ أَسْكَنُ مَا كَانَ، فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ العَشَاءَ فَتَعَشَّى، ثُمَّ أَصَابَ مِنْهَا(11)، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَتْ: وَارُوا الصَّبِيَّ(12)، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو**

---

1 – **اشْتَكَى**: مرض.

2 – **هَيَّأَتْ شَيْئًا**: أعدت طعاما أصلحته أو أصلحت حالها وتزينت تعرضًا للجماع.

3 – **نحته**: جعلته في جانب البيت بحيث لا يرى لأول وهلة.

4 – **هدأت نفسه**: سكنت وأرادت بالموت وظن هو بالنوم لوجود العافية.

5 – **صادقة**: بالنسبة لما فهمه.

6 – **اغتسل**: أي من الجنابة وهو كناية عن أنه جامع أهله تلك الليلة.

7 – **رجل**: عباية بن رفاعة بن رافع بن خديج رضي الله عنه.

8 – **لهما**: من ولدهما عبد الله الذي حملت به تلك الليلة ودعا لهما النبي صلى الله عليه وسلم بالبركة فيها.

9 – **قرأ القرآن**: حفظه وختمه.

10 – أخرجه البخاري في صحيحه (82/2) ح(1301).

11 – **أصاب منها**: جامعها.

12 – **وار الصبي**: ادفنه.

طَلْحَةَ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: أَعْرَسْتُمُ اللَّيْلَةَ(1)؟. قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمَا. فَوَلَدَتْ غُلاَمًا، قَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: احْفَظْهُ حَتَّى تَأْتِيَ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَتَى بِهِ النَّبِيَّ ﷺ وَأَرْسَلَتْ مَعَهُ بِتَمَرَاتٍ، فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: أَمَعَهُ شَيْءٌ؟. قَالُوا: نَعَمْ، تَمَرَاتٌ، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ فَمَضَغَهَا، ثُمَّ أَخَذَ مِنْ فِيهِ، فَجَعَلَهَا فِي فِي الصَّبِيِّ وَحَنَّكَهُ بِهِ، وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ)(2).

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: (مَاتَ ابْنٌ لِأَبِي طَلْحَةَ، مِنْ أم سُليم، فَقَالَتْ لِأَهْلِهَا: لَا تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بِابْنِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أُحَدِّثُهُ قَالَ: فَجَاءَ فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ عَشَاءً، فَأَكَلَ وَشَرِبَ، فَقَالَ: ثُمَّ تَصَنَّعَتْ لَهُ أَحْسَنَ مَا كَانَ تَصَنَّعُ قَبْلَ ذَلِكَ، فَوَقَعَ بِهَا، فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبِعَ وَأَصَابَ مِنْهَا، قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْمًا أَعَارُوا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ، فَطَلَبُوا عَارِيَتَهُمْ، أَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ؟ قَالَ: لَا، قَالَتْ: فَاحْتَسِبِ ابْنَكَ، قَالَ: فَغَضِبَ، وَقَالَ: تَرَكْتِنِي حَتَّى تَلَطَّخْتُ، ثُمَّ أَخْبَرْتِنِي بِابْنِي فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: بَارَكَ اللهُ لَكُمَا فِي غَابِرِ لَيْلَتِكُمَا. قَالَ: فَحَمَلَتْ، قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ وَهِيَ مَعَهُ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا أَتَى الْمَدِينَةَ مِنْ سَفَرٍ، لَا يَطْرُقُهَا طُرُوقًا(3)، فَدَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ، فَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ(4) فَاحْتُبِسَ عَلَيْهَا أَبُو طَلْحَةَ، وَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: يَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: إِنَّكَ لَتَعْلَمُ، يَا رَبِّ إِنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ أَخْرُجَ مَعَ رَسُولِكَ إِذَا خَرَجَ، وَأَدْخُلَ مَعَهُ إِذَا دَخَلَ، وَقَدِ احْتَبَسْتُ بِمَا تَرَى، قَالَ: تَقُولُ أم سُليم: يَا أَبَا طَلْحَةَ مَا أَجِدُ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ(5)، انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، قَالَ وَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ حِينَ قَدِمَا، فَوَلَدَتْ غُلَامًا فَقَالَتْ لِي أُمِّي: يَا أَنَسُ لَا يُرْضِعُهُ أَحَدٌ حَتَّى تَغْدُوَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ احْتَمَلْتُهُ،

---

1 – أعرستم: من الإعراس وهو وطء الرجل زوجته.

2 – أخرجه البخاري في صحيحه (84/7) ح(5470).

3 – لا يطرقها طروقًا: أي لا يدخلها في الليل.

4 – فضربها المخاض: هو الطلق ووجع الولادة.

5 – ما أجد الذي كنت أجد: تريد أن الطلق انجلى عنها وتأخرت الولادة.

فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، قَالَ فَصَادَفْتُهُ وَمَعَهُ مِيسَمٌ(1)، فَلَمَّا رَآنِي قَالَ: لَعَلَّ أم سُلَيم وَلَدَتْ؟. قُلْتُ: نَعَمْ، فَوَضَعَ الْمِيسَمَ، قَالَ: وَجِئْتُ بِهِ فَوَضَعْتُهُ فِي حِجْرِهِ، وَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِعَجْوَةٍ مِنْ عَجْوَةِ الْمَدِينَةِ، فَلَاكَهَا فِي فِيهِ حَتَّى ذَابَتْ، ثُمَّ قَذَفَهَا فِي فِيّ الصَّبِيّ، فَجَعَلَ الصَّبِيُّ يَتَلَمَّظُهَا(2)، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: انْظُرُوا إِلَى حُبِّ الْأَنْصَارِ التَّمْرَ. قَالَ: فَمَسَحَ وَجْهَهُ وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللهِ)(3).

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: (اشْتَكَى ابْنٌ لِأَبِي طَلْحَةَ(4)، فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَتُوُفِّيَ الْغُلَامُ، فَهَيَّأَتْ أم سُلَيم الْمَيِّتَ(5). وَقَالَتْ لِأَهْلِهَا: لَا يُخْبِرَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ أَبَا طَلْحَةَ بِوَفَاةِ ابْنِهِ، فَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَمَعَهُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْمَسْجِدِ مِنْ أَصْحَابِهِ. قَالَ: مَا فَعَلَ الْغُلَامُ؟ قَالَتْ: خَيْرُ مَا كَانَ(6)، فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِمْ عَشَاءَهُمْ، فَتَعَشَّوْا وَخَرَجَ الْقَوْمُ، وَقَامَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى مَا تَقُومُ إِلَيْهِ الْمَرْأَةُ، فَلَمَّا كَانَ آخِرُ اللَّيْلِ، قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، أَلَمْ تَرَ إِلَى آلِ فُلَانٍ اسْتَعَارُوا عَارِيَةً فَتَمَتَّعُوا بِهَا، فَلَمَّا طُلِبَتْ كَأَنَّهُمْ كَرِهُوا ذَاكَ. قَالَ: مَا أَنْصَفُوا، قَالَتْ: فَإِنَّ ابْنَكَ كَانَ عَارِيَةً مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَإِنَّ اللهَ قَبَضَهُ فَاسْتَرْجَعَ وَحَمِدَ اللهَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا رَآهُ قَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا، فَحَمَلَتْ بِعَبْدِ اللهِ فَوَلَدَتْهُ لَيْلًا، وَكَرِهَتْ أَنْ تُحَنِّكَهُ حَتَّى يُحَنِّكَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ(7)، قَالَ: فَحَمَلْتُهُ غُدْوَةً، وَمَعِي تَمَرَاتُ عَجْوَةٍ، فَوَجَدْتُهُ يَهْنَأُ(1)

---

1 – **ميسم**: هي الآلة التي يكوى بها الحيوان من الوسم، وهو العلامة. ومنه قوله ﷻ: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ القلم: الآية 16. أي: سنجعل على أنفه سوادًا يعرف به يوم القيامة، والخرطوم من الإنسان الأنف.

2 – **يتلمظها**: أي يتتبع بلسانه بقيتها ويمسح به شفتيه.

3 – أخرجه مسلم في صحيحه (1909/4) ح(2144).

4 – **اشتكى ابن لأبي طلحة**: أي مرض، وهذا الابن هو أبو عمير صاحب النُغير.

5 – **فهيأت**: فعلت ما يحتاج إليه الميت من الغسل وغيره.

6 – **خيرَ ما كان**: أي حاله خير مما كان حيث كان في شدة النزْع، وقد خلص منه بالموت، وفهم منه أبو طلحة أنه خف مرضه، وهذا من باب المعاريض المباحة عند الحاجة.

7 – وفي رواية: "قَالَتْ أُمِّي: يَا أَنَسُ، لَا يُطْعَمْ شَيْئًا حَتَّى تَغْدُوَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: فَبَاتَ يَبْكِي، وَبِتُّ مُجْتَنِحًا عَلَيْهِ –أي مائلًا– أُكَالِئُهُ– أي: أحرسه وأهتم بشأنه– حَتَّى أَصْبَحْتُ" أخرجه الإمام أحمد في مسنده (464/21) ح(14088).

أَبَاعِرَ(2) لَهُ، أَوْ يَسِمُهَا(3)، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أم سُلَيم وَلَدَتِ اللَّيْلَةَ، فَكَرِهَتْ أَنْ تُحَنِّكَهُ(4) حَتَّى يُحَنِّكَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَقَالَ: " أَمَعَكَ شَيْءٌ؟ " قُلْتُ: تَمَرَاتُ عَجْوَةٍ، فَأَخَذَ بَعْضَهُنَّ فَمَضَغَهُنَّ، ثُمَّ جَمَعَ بُزَاقَهُ فَأَوْجَرَهُ إِيَّاهُ(5)، فَجَعَلَ يَتَلَمَّظُ، فَقَالَ: " حُبُّ الْأَنْصَارِ التَّمْرَ ". قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ سَمِّهِ، قَالَ: " هُوَ عَبْدُ اللهِ)(6).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: (تَزَوَّجَ أَبُو طَلْحَةَ أم سُلَيم وَهِيَ أُمُّ أَنَسٍ، وَالْبَرَاءِ، قَالَ: فَوَلَدَتْ لَهُ بُنَيًّا. قَالَ: فَكَانَ يُحِبُّهُ حُبًّا شَدِيدًا. قَالَ: فَمَرِضَ الْغُلَامُ مَرَضًا شَدِيدًا، فَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ يَقُومُ صَلَاةَ الْغَدَاةِ يَتَوَضَّأُ، وَيَأْتِي النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم فَيُصَلِّي مَعَهُ، وَيَكُونُ مَعَهُ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ، فَيَجِيءُ فَيَقِيلُ وَيَأْكُلُ، فَإِذَا صَلَّى الظُّهْرَ تَهَيَّأَ وَذَهَبَ، فَلَمْ يَجِئْ إِلَى صَلَاةِ الْعَتَمَةِ. قَالَ: فَرَاحَ عَشِيَّةً، وَمَاتَ الصَّبِيُّ. قَالَ: وَجَاءَ أَبُو طَلْحَةَ، قَالَ: فَسَجَّتْ عَلَيْهِ ثَوْبًا، وَتَرَكَتْهُ. قَالَ: فَقَالَ لَهَا أَبُو طَلْحَةَ: يَا أم سُلَيم، كَيْفَ بَاتَ بُنَيَّ اللَّيْلَةَ؟ قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، مَا كَانَ ابْنُكَ مُنْذُ اشْتَكَى أَسْكَنَ مِنْهُ اللَّيْلَةَ، قَالَ: ثُمَّ جَاءَتْهُ بِالطَّعَامِ، فَأَكَلَ وَطَابَتْ نَفْسُهُ. قَالَ: فَقَامَ إِلَى فِرَاشِهِ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ، قَالَتْ: وَقُمْتُ أَنَا، فَمَسِسْتُ شَيْئًا مِنْ طِيبٍ، ثُمَّ جِئْتُ حَتَّى دَخَلْتُ مَعَهُ الْفِرَاشَ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ وَجَدَ رِيحَ الطِّيبِ كَانَ مِنْهُ مَا يَكُونُ مِنَ الرَّجُلِ إِلَى أَهْلِهِ. قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحَ أَبُو طَلْحَةَ يَتَهَيَّأُ كَمَا كَانَ يَتَهَيَّأُ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا اسْتَوْدَعَكَ وَدِيعَةً، فَاسْتَمْتَعْتَ بِهَا، ثُمَّ طَلَبَهَا، فَأَخَذَهَا مِنْكَ تَجْزَعُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: لَا. قَالَتْ: فَإِنَّ ابْنَكَ قَدْ مَاتَ. قَالَ أَنَسٌ: فَجَزِعَ عَلَيْهِ جَزَعًا شَدِيدًا، وَحَدَّثَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ فِي الطَّعَامِ وَالطِّيبِ، وَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَيْهَا. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: هِيهِ فَبِتُّمَا عَرُوسَيْنِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِكُمَا؟. قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: بَارَكَ اللَّهُ

---

1 – **يهْنأ**: هو أن يطلي بالقطران.

2 – **الأباعر**: جمع بعير.

3 – **أو يسمها**: من الوسْم، وفيه جواز وسْم الحيوان ليتميز وليعرف فيرده من وجده.

4 – **تحنكه**: من التحنيك، وهو أن يمضغ شيئًا حلوًا حتى يصير مائعًا بحيث يُبتلع، ثم يفتح فم المولود، فيضعه فيه، ليدخل شيء منها جوفه.

5 – **فأوجره**: أي جعله في فمه.

6 – أخرجه الإمام أحمد في مسنده (85/19) ح(12028).

لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا. قَالَ: فَحَمَلَتْ أم سُليم تِلْكَ اللَّيْلَةَ، قَالَ: فَتَلِدُ غُلَامًا، قَالَ: فَحِينَ أَصْبَحْنَا، قَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: احْمِلْهُ فِي خِرْقَةٍ حَتَّى تَأْتِيَ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَاحْمِلْ مَعَكَ تَمْرَ عَجْوَةٍ. قَالَ: فَحَمَلْتُهُ فِي خِرْقَةٍ. قَالَ: وَلَمْ يُحَنِّكْ، وَلَمْ يَذُقْ طَعَامًا وَلَا شَيْئًا، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَدَتْ أم سُليم، قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ مَا وَلَدَتْ؟. قُلْتُ: غُلَامًا، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَقَالَ: هَاتِهِ إِلَيَّ، فَدَفَعْتُهُ إِلَيْهِ، فَحَنَّكَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَعَكَ تَمْرُ عَجْوَةٍ؟. قُلْتُ: نَعَمْ، فَأَخْرَجْتُ تَمَرًا، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَمْرَةً وَأَلْقَاهَا فِي فِيهِ، فَمَا زَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَلُوكُهَا حَتَّى اخْتَلَطَتْ بِرِيقِهِ، ثُمَّ دَفَعَ الصَّبِيَّ. فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ وَجَدَ الصَّبِيُّ حَلَاوَةَ التَّمْرِ جَعَلَ يَمُصُّ حَلَاوَةَ التَّمْرِ وَرِيقَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَكَانَ أَوَّلُ مَا تَفَتَّحَتْ أَمْعَاءُ ذَلِكَ الصَّبِيِّ عَلَى رِيقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: حُبُّ الْأَنْصَارِ التَّمْرَ، فَسُمِّيَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي طَلْحَةَ قَالَ: فَخَرَجَ مِنْهُ رَجُلٌ كَثِيرٌ، قَالَ: وَاسْتُشْهِدَ عَبْدُ اللَّهِ بِفَارِسَ) (1).

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه (أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ رضي الله عنه كَانَ لَهُ ابْنٌ يُكَنَّى أَبَا عُمَيْرٍ، قَالَ: فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟ قَالَ: فَمَرِضَ وَأَبُو طَلْحَةَ غَائِبٌ فِي بَعْضِ حِيطَانِهِ، فَهَلَكَ الصَّبِيُّ، فَقَامَتْ أم سُليم، فَغَسَّلَتْهُ، وَكَفَّنَتْهُ وَحَنَّطَتْهُ وَسَجَّتْ عَلَيْهِ ثَوْبًا، وَقَالَتْ: لَا يَكُونُ أَحَدٌ يُخْبِرُ أَبَا طَلْحَةَ حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّذِي أُخْبِرُهُ، فَجَاءَ أَبُو طَلْحَةَ كَالًّا، وَهُوَ صَائِمٌ، فَتَطَيَّبَتْ لَهُ وَتَصَنَّعَتْ لَهُ وَجَاءَتْ بِعَشَائِهِ، فَقَالَ: مَا فَعَلَ أَبُو عُمَيْرٍ، فَقَالَتْ: تَعَشَّى وَقَدْ فَرَغَ، قَالَ: فَتَعَشَّى وَأَصَابَ مِنْهَا مَا يُصِيبُ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِهِ، ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ أَرَأَيْتَ أَهْلَ بَيْتٍ أَعَارُوا أَهْلَ بَيْتٍ عَارِيَّةً، فَطَلَبَهَا أَصْحَابُهَا أَيَرُدُّونَهَا أَوْ يَحْبِسُونَهَا، فَقَالَ: بَلْ يَرُدُّونَهَا عَلَيْهِمْ، قَالَتْ: احْتَسِبْ أَبَا عُمَيْرٍ، قَالَ: فَغَضِبَ وَانْطَلَقَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ أم سُليم، فَقَالَ ﷺ: بَارَكَ اللَّهُ لَكُمَا فِي غَابِرِ لَيْلَتِكُمَا، قَالَ: فَحَمَلَتْ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ حَتَّى إِذَا وَضَعَتْ وَكَانَ يَوْمُ السَّابِعِ، قَالَتْ لِي أم سُليم: يَا أَنَسُ اذْهَبْ بِهَذَا الصَّبِيِّ وَهَذَا الْمِكْتَلِ وَفِيهِ شَيْءٌ مِنْ عَجْوَةٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يُحَنِّكُهُ وَيُسَمِّيهِ، قَالَ: فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، فَمَدَّ

1 - أخرجه الإمام أحمد في مسنده (229/20) ح(12865).

النَّبِيُّ ﷺ رِجْلَيْهِ وَأَضْجَعَهُ فِي حِجْرِهِ، وَأَخَذَ تَمْرَةً فَلَاكَهَا، ثُمَّ مَجَّهَا فِي فِيِّ الصَّبِيِّ، فَجَعَلَ يَتَلَمَّظُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَبَتِ الْأَنْصَارُ إِلَّا حُبَّ التَّمْرِ)(1).

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: (خَطَبَ أَبُو طَلْحَةَ أم سُلَيم، فَقَالَتْ لَهُ: مَا مِثْلُكَ يَا أَبَا طَلْحَةَ يُرَدُّ وَلَكِنِّي امْرَأَةٌ مُسْلِمَةٌ، وَأَنْتَ رَجُلٌ كَافِرٌ، وَلَا يَحِلُّ لِي أَنْ أَتَزَوَّجَكَ(2)، فَإِنْ تُسْلِمْ فَذَلِكَ مَهْرِي لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَأَسْلَمَ، فَكَانَتْ لَهُ فَدَخَلَ بِهَا، فَحَمَلَتْ فَوَلَدَتْ غُلَامًا صَبِيحًا، وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ يُحِبُّهُ حُبًّا شَدِيدًا، فَعَاشَ حَتَّى تَحَرَّكَ فَمَرِضَ، فَحَزِنَ عَلَيْهِ أَبُو طَلْحَةَ حُزْنًا شَدِيدًا حَتَّى تَضَعْضَعَ، قَالَ: وَأَبُو طَلْحَةَ يَغْدُو عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَرُوحُ، فَرَاحَ رَوْحَةً وَمَاتَ الصَّبِيُّ، فَعَمَدَتْ إِلَيْهِ أم سُلَيم، فَطَيَّبَتْهُ وَنَظَّفَتْهُ وَجَعَلَتْهُ فِي مِخْدَعِنَا، فَأَتَى أَبُو طَلْحَةَ، فَقَالَ: كَيْفَ أَمْسَى بُنَيَّ؟ قَالَتْ: بِخَيْرٍ مَا كَانَ مُنْذُ اشْتَكَى أَسْكَنَ مِنْهُ اللَّيْلَةَ، قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهَ وَسُرَّ بِذَلِكَ، فَقَرَّبَتْ لَهُ عَشَاءَهُ، فَتَعَشَّى ثُمَّ مَسَّتْ شَيْئًا مِنْ طِيبٍ، فَتَعَرَّضَتْ لَهُ حَتَّى وَاقَعَ بِهَا، فَلَمَّا تَعَشَّى وَأَصَابَ مِنْ أَهْلِهِ، قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ رَأَيْتَ لَوْ أَنَّ جَارًا لَكَ أَعَارَكَ عَارِيَّةً، فَاسْتَمْتَعْتَ بِهَا، ثُمَّ أَرَادَ أَخْذَهَا مِنْكَ أَكُنْتَ رَادَّهَا عَلَيْهِ؟ فَقَالَ: إِي وَاللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ لَرَادُّهَا عَلَيْهِ، قَالَتْ: طَيْبَةً بِهَا نَفْسُكَ؟ قَالَ: طَيْبَةً بِهَا نَفْسِي، قَالَتْ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَارَكَ بُنَيَّ وَمَتَّعَكَ بِهِ مَا شَاءَ، ثُمَّ قُبِضَ إِلَيْهِ، فَاصْبِرْ وَاحْتَسِبْ، قَالَ: فَاسْتَرْجَعَ أَبُو طَلْحَةَ وَصَبَرَ، ثُمَّ أَصْبَحَ غَادِيًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَحَدَّثَهُ حَدِيثَ أم سُلَيم كَيْفَ صَنَعَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بَارَكَ اللَّهُ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا، قَالَ: وَحَمَلَتْ تِلْكَ الْوَاقِعَةَ فَأَثْقَلَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي طَلْحَةَ: إِذَا وَلَدَتْ أم سُلَيم فَجِئْنِي بِوَلَدِهَا، فَحَمَلَهُ أَبُو طَلْحَةَ فِي خِرْقَةٍ، فَجَاءَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَمَضَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَمْرَةً، فَمَجَّهَا فِي فِيهِ فَجَعَلَ الصَّبِيُّ يَتَلَمَّظُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي طَلْحَةَ: حِبُّ الْأَنْصَارِ التَّمْرَ، فَحَنَّكَهُ وَسَمَّى عَلَيْهِ، وَدَعَا لَهُ، وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ)(3).

---

1 – صحيح. أخرجه ابن حبان في صحيحه (158/16) ح(7188).

2 – تحريم زواج المسلمة من الكافر جاء متأخرًا بعد صلح الحديبية.

3 – صحيح. أخرجه ابن حبان في صحيحه (155/16) ح(7187).

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه : (قَالَ مَالِكٌ أَبُو أَنَسٍ لِامْرَأَتِهِ أم سُلَيم وَهِيَ أُمُّ أَنَسٍ: أَرَى هَذَا الرَّجُلَ – يَعْنِي النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم – يُحَرِّمُ الْخَمْرَ فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى الشَّامَ فَهَلَكَ هُنَالِكَ. فَجَاءَ أَبُو طَلْحَةَ فَخَطَبَ أم سُلَيم فَكَلَّمَهَا فِي ذَلِكَ فَقَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ مَا مِثْلُكَ يُرَدُّ، وَلَكِنَّكَ امْرُؤٌ كَافِرٌ وَأَنَا امْرَأَةٌ مُسْلِمَةٌ لاَ يَصْلُحُ أَنْ أَتَزَوَّجَكَ. فَقَالَ: وَمَا ذَاكِ دَهْرُكِ. قَالَتْ: وَمَا دَهْرِي قَالَ: الصَّفْرَاءُ والْبَيضَاءُ. قَالَتْ: فَإِنِّي لاَ أُرِيدُ صَفْرَاءَ وَلاَ بَيْضَاءَ أُرِيدُ مِنْكَ الإِسْلاَمَ. قَالَ: فَمَنْ لِي بِذَلِكَ. قَالَتْ: لَكَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم. فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ يُرِيدُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم وَرَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وآله وسلم جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ فَلَمَّا رَآهُ قَالَ: جَاءَكُمْ أَبُو طَلْحَةَ غُرَّةُ الإِسْلاَمِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ. فَجَاءَ فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم بِمَا قَالَتْ أم سُلَيم فَتَزَوَّجَهَا عَلَى ذَلِكَ. قَالَ ثَابِتٌ: فَمَا بَلَغَنَا أَنَّ مَهْرًا كَانَ أَعْظَمَ مِنْهُ أَنَّهَا رَضِيَتْ بِالإِسْلاَمِ مَهْرًا فَتَزَوَّجَهَا، وَكَانَتِ امْرَأَةً مَلِيحَةَ الْعَيْنَيْنِ فِيهَا صِغَرٌ فَكَانَتْ مَعَهُ حَتَّى وُلِدَ مِنْهُ بُنَيٌّ، وَكَانَ يُحِبُّهُ أَبُو طَلْحَةَ حُبًّا شَدِيدًا إِذْ مَرِضَ الصَّبِيُّ وَتَوَاضَعَ أَبُو طَلْحَةَ لِمَرَضِهِ أَوْ تَضَعْضَعَ لَهُ، فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وَمَاتَ الصَّبِيُّ فَقَالَتْ أم سُلَيم رضي الله عنها : لاَ يَنْعِينَّ إِلَى أَبِي طَلْحَةَ أَحَدٌ ابْنَهُ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أَنْعَاهُ لَهُ، فَهَيَّأَتِ الصَّبِيَّ وَوَضَعَتْهُ وَجَاءَ أَبُو طَلْحَةَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهَا فَقَالَ: كَيْفَ ابْنِي فَقَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ مَا كَانَ مُنْذُ اشْتَكَى أَسْكَنَ مِنْهُ السَّاعَةَ. قَالَ: فَلِلَّهِ الْحَمْدُ فَأَتَتْهُ بِعَشَائِهِ فَأَصَابَ مِنْهُ، ثُمَّ قَامَتْ فَتَطَيَّبَتْ وَتَعَرَّضَتْ لَهُ فَأَصَابَ مِنْهَا فَلَمَّا عَلِمَتْ أَنَّهُ طَعِمَ وَأَصَابَ مِنْهَا قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْمًا أَعَارُوا قَوْمًا عَارِيَةً لَهُمْ فَسَأَلُوهُمْ إِيَّاهَا أَكَانَ لَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ؟ فَقَالَ: لاَ قَالَتْ : فَإِنَّ اللَّهَ عز وجل كَانَ أَعَارَكَ ابْنَكَ عَارِيَةً، ثُمَّ قَبَضَهُ إِلَيْهِ فَاحْتَسِبِ ابْنَكَ وَاصْبِرْ. فَغَضِبَ، ثُمَّ قَالَ: تَرَكْتِينِي حَتَّى إِذَا وَقَعْتُ بِمَا وَقَعْتُ بِهِ نَعَيْتِ إِلَيَّ ابْنِي، ثُمَّ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: بَارَكَ اللَّهُ لَكُمَا فِي غَابِرِ لَيْلَتِكُمَا. فَتَلَقَّتْ مِنْ ذَلِكَ الْحَمْلَ وَكَانَتْ أم سُلَيم رضي الله عنها تُسَافِرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم تَخْرُجُ مَعَهُ إِذَا خَرَجَ، وَتَدْخُلُ مَعَهُ إِذَا دَخَلَ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: إِذَا وَلَدَتْ أم سُلَيم فَأْتُونِي بِالصَّبِيِّ. فَأَخَذَهَا الطَّلْقُ لَيْلَةَ قُرْبِهِمْ مِنَ الْمَدِينَةِ قَالَتِ: اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ أَدْخُلُ إِذَا دَخَلَ نَبِيُّكَ وَأَخْرُجُ إِذَا خَرَجَ نَبِيُّكَ وَقَدْ حَضَرَ هَذَا الأَمْرُ فَوَلَدَتْ غُلاَمًا – يَعْنِي حِينَ قَدِمَا الْمَدِينَةَ – فَقَالَتْ لِابْنِهَا أَنَسٍ: انْطَلِقْ بِالصَّبِيِّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم فَأَخَذَ أَنَسٌ الصَّبِيَّ فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وَهُوَ يَسِمُ إِبِلاً وَغَنَمًا فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ قَالَ لأَنَسٍ: أَوَلَدَتِ ابْنَةُ مِلْحَانَ. قَالَ: نَعَمْ فَأَلْقَى مَا فِي يَدِهِ فَتَنَاوَلَ الصَّبِيَّ فَقَالَ: ائْتُونِي بِتَمَرَاتٍ عَجْوَةٍ. فَأَخَذَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم التَّمْرَ فَجَعَلَ يُحَنِّكُ الصَّبِيَّ وَجَعَلَ الصَّبِيُّ يَتَلَمَّظُ فَقَالَ :

انْظُرُوا إِلَى حُبِّ الأَنْصَارِ التَّمْرَ. فَحَنَّكَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ. قَالَ ثَابِتٌ: وَكَانَ يُعَدُّ مِنْ خِيَارِ الْمُسْلِمِينَ)(1).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: (وَلَدَتْ أم سُلَيم غُلَامًا، فَاشْتَكَى فَاشْتَدَّ شَكْوُهُ ثُمَّ تُوُفِّيَ وَأَبُو طَلْحَةَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَانْصَرَفَ أَبُو طَلْحَةَ مِنْ عِنْدِهِ حِينَ صَلَّى الْمَغْرِبَ وَقَدْ لَفَّتْهُ أم سُلَيم وَجَعَلَتْهُ فِي نَاحِيَةٍ مِنْ بَيْتِهَا، فَهَوَى إِلَيْهِ أَبُو طَلْحَةَ فَقَالَتْ: عَزَمْتُ عَلَيْكَ بِحَقِّي أَنْ لَا تُقَرِّبَهُ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُنْذُ اشْتَكَى خَيْرًا مِنْهُ اللَّيْلَةَ، فَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ فِطْرَهُ فَأَفْطَرَ، ثُمَّ أَخَذَتْ طِيبًا فَأَصَابَتْهُ، ثُمَّ دَنَتْ إِلَى أَبِي طَلْحَةَ فَأَصَابَهَا، فَقَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ لَوْ رَأَيْتَ جِيرَانًا أَعَارُوا جِيرَانًا لَهُمْ عَارِيَةً حَتَّى ظَنُّوا أَنْ قَدْ تَرَكُوهَا لَهُمْ، فَلَمَّا طَلَبُوهَا مِنْهُمْ وَجَدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ، قَالَ: بِئْسَمَا صَنَعُوا، فَقَالَتْ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَعَارَكَ فُلَانًا، ثُمَّ قَبَضَهُ مِنْكَ وَهُوَ أَحَقُّ بِهِ، فَغَدَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ حِينَ أَصْبَحَ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: اللهُمَّ بَارِكْ لَهُمَا فِي لَيْلَتِهِمَا، فَحَمَلَتْ بِعَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، فَوَضَعَتْهُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، فَقَالَتْ: لَا تُهِجْهُ، حَتَّى يُصْبِحَ، فَلَمَّا أَصْبَحَتْ غَسَّلَتْهُ وَسَرَّرَتْهُ، ثُمَّ دَعَتْ أَنَسًا فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ اذْهَبْ بِأَخِيكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: أَنَسٌ فَأَقْبَلْتُ أَحْمِلُهُ وَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ فِي إِزَارٍ وَمَعَهُ مِسْحَاةٌ، فَقَالَ: يَا أَنَسُ مَا هَذَا مَعَكَ. قُلْتُ: أَخِي يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: نَاوِلْنِيهِ. فَنَاوَلْتُهُ إِيَّاهُ فَدَعَا بِتَمْرٍ، فَمَضَغَهُ ثُمَّ حَنَّكَهُ فَتَلَمَّظَ الصَّبِيُّ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: حُبُّ الْأَنْصَارِ التَّمْرَ)(2).

عَن أَنَس رضي الله عنه قَالَ: (جَاءَتْ أم سُلَيم إِلَى أَبِي أَنَسٍ، فَقَالَتْ: قَدْ جئتُ الْيَوْمَ بِمَا تَكْرَهُ، فَقَالَ: لا تَزَالِينَ تَجِيئِينَ بِمَا أَكْرَهُ من عند هذا الأعرابي، قالت: كَانَ أَعْرَابِيًّا، اصْطَفَاهُ اللَّهُ وَاخْتَارَهُ، وَجَعَلَهُ نَبِيًّا، قال: ما الَّذِي جئتِ بِهِ؟ قَالَتْ: حُرمت الْخَمْرُ، هَذَا فِرَاقٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، فَمَاتَ مُشْرِكًا، وَجَاءَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى أم سُلَيم، فَقَالَتْ: مَا جَاءَ بِكَ يَا أَبَا طَلْحَةَ؟ قَالَ: جئتُ خَاطِبًا، قَالَتْ: أسلمتَ؟ قَالَ: لا، قَالَ: مَا تَسْأَلِينَ عَنْ إِسْلَامِي؟ قَالَتْ: لَمْ أَكُنْ أَتَزَوَّجُكَ وَأَنْتَ مُشْرِكٌ، قَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا هَذَا دَهْرُكِ، قَالَتْ: فَمَا دَهْرِي؟ قَالَ: دَهْرُكِ فِي الصَّفْرَاءِ وَالْبَيْضَاءِ، قَالَتْ: فَإِنِّي أُشْهِدُكَ، وَأُشْهِدُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ، أَنَّكَ إِنْ أسلمتَ، فَقَدْ رضيتُ بِالإِسْلامِ مِنْكَ،

---

1 – أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (65/4) ح(7381).

2 – أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (116/25) ح(287).

قَالَ: فَمَنْ لِي بِهَذَا؟ قَالَتْ: يَا أَنَسُ، قُمْ فَانْطَلِقْ مَعَ عمك، فَقَامَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى عَاتِقِي، فَانْطَلَقْنَا، حَتَّى كُنَّا قَرِيبًا مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَسَمِعَ كَلامَهُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُو طَلْحَةَ، بَيْنَ عَيْنَيْهِ غرةُ الإِسْلامِ، حَتَّى جَاءَ، فَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبده وَرَسُولُهُ، فَزَوَّجَهُ رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم عَلَى الإِسْلامِ، فَوَلَدَتْ لَهُ غُلَامًا، ثُمَّ إِن الْغُلَامَ دَرَجَ، وَأُعْجِبَ بِهِ أَبُوهُ، فَقَبَضَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَيْهِ، فَجَاءَ أَبُو طَلْحَةَ، فَقَالَ: مَا فَعَلَ ابْنِي يَا أم سُليم؟ قَالَتْ: خَيْرُ مَا كَانَ، قَالَتْ: أَلَا تَتَغَدَّى، قَدْ أَخَّرْتُ غَدَاءَكَ الْيَوْمَ؟ قَالَ: فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ غَدَاءَهُ، فَتَغَدَّى، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ غَدَائِهِ، قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، عاريةٌ اسْتَعَارَهَا قَوْمٌ، وَكَانَتِ الْعَارِيَةُ عِنْدَهُمْ مَا قَضَى اللَّهُ، وَإِن أَهْلَ الْعَارِيَةِ أَرْسَلُوا إِلَى عَارِيَتِهِمْ فَقَبَضُوهَا، أَلَهُمْ أَنْ يَجْزَعُوا عَلَيْهِ؟ قَالَ: لا، قَالَتْ: فَإِنَّ ابْنَكَ قَدْ فَارَقَ الدُّنْيَا، قَالَ: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَتْ: هَا هُوَ ذَا فِي الْمَخْدَعِ، فَدَخَل، فَكَشَفَ عَنْهُ، وَاسْتَرْجَعَ، فَذَهَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَحَدَّثَهُ بِقَوْلِ أم سُليم، قَالَ: وَالَّذِي بعثني بِالْحَقِّ، لَقَدْ قَذَفَ اللَّهُ تَعَالَى فِي رَحِمِهَا ذَكَرًا، لِصبرها عَلَى وَلَدِهَا، قَالَ: فوضعتْهُ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: اذْهَبْ يَا أَنَسُ إِلَى أُمك، فَقُلْ لَهَا: إِذَا قطعتِ سرارَ ابْنِكِ، فَلا تُذيقيه شَيْئًا حَتَّى تُرْسِلِي بِهِ إِلَيَّ، قَالَ: فَوَضَعْتُهُ عَلَى ذِرَاعِي، حَتَّى أتيتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فوضَعْتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: ائْتِنِي بِثَلَاثِ تَمَرَاتٍ عَجْوَةٍ، قَالَ: فَجِئْتُهُ بِهِنَّ، فَقَذَفَ نَوَاهُنَّ، ثُمَّ قَذَفَهُ فِي فِيهِ، فَلاكَهُ، ثُمَّ فَتَحَ فَا الغلامِ، فَجَعَلَهُ فِي فِيهِ، فَجَعَلَ يَتَلَمَّظُ، فَقَالَ: أنصاريٌّ يُحِبُّ التَّمْرَ، فَقَالَ: اذْهَبْ إِلَى أُمِّك، فَقُلْ: بَارَكَ اللَّهُ لَكِ فِيهِ، وَجَعَلَهُ بَرًّا تَقِيًّا)[1].

1 - أخرجه البزار في مسنده (البحر الزخار) (494/13) ح(7310).

خاتمة

عاشت أم سُليم رضي الله عنها حياة حافلة بالعطاء والتضحية والفداء، أعطت وما بخلت، وما نظرت إلى ثقل الحمل على كاهلها، استطاعت أن تؤسس بيتًا مسلمًا يضم الحب في جنباته، ويفوح عطر المودة من زواياه، الرحمة ترفرف دومًا بجناحيها على سقفه، والسكن والطمأنينة كان أحد أركان هذا البيت.

لم لا يكون هذا البيت من أسعد البيوت وقد أسسته امرأة من خير النساء كما في حديث كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: (... **أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِنِسَائِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: الْوَدُودُ الْوَلُودُ الَّتِي إِنْ ظَلَمَتْ أَوْ ظُلِمَتْ قَالَتْ: هَذِهِ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، لَا أَذُوقُ غَمْضًا**(1) **حَتَّى تَرْضَى**)(2). كيف تأتي التعاسة والشقاء لبيت يضم بين جنباته امرأة لا يغمض لها جفن، ولا تهنأ بنوم طالما أنّ خلافًا حصل بينها وبين زوجها؟.

يحدوها دومًا مرضاة الله سبحانه وتعالى بطاعة زوجها، وعدم تقصيرها فيه وفي بيتها، فهي تعلم أن التقصير فيه من أسباب دخول النار كما في حديث الْحُصَيْنِ بْنِ مِحْصَنٍ، أَنَّ عَمَّةً لَهُ أَتَتِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي حَاجَةٍ، فَفَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: (**أَذَاتُ زَوْجٍ أَنْتِ؟. قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ أَنْتِ لَهُ؟. قَالَتْ: مَا آلُوهُ إِلَّا مَا عَجَزْتُ عَنْهُ، قَالَ: فَانْظُرِي أَيْنَ أَنْتِ مِنْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ جَنَّتُكِ وَنَارُكِ**)(3).

عرفت أم سُليم رضي الله عنها ما عليها من واجبات فاستحقت أن تكون ملكة في بيتها، وكأن أبا طلحة رضي الله عنه يحدوه قول لُقْمَان عليه السلام: "**مثل الْمَرْأَة الصَّالِحَة مثل التَّاج على رَأس الْملك، وَمثل الْمَرْأَة السوء كَمثل الْحمل الثقيل على ظهر الشَّيْخ الْكَبِير**"(4).

---

1 – **غَمْضًا**: لا أذوق نومًا.

2 – **حسن**. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (140/19) ح(307).

3 – **حسن**. أخرجه الإمام أحمد في مسنده (341/31) ح(19003).

4 – الحكيم الترمذي/نوادر الأصول في أحاديث الرسول (153/2).

كانت أم سُليم رضي الله عنها حكيمة في تصرفاتها، تعاملت مع المواقف الحرجة فضلًا عن غيرها بتوازن، فليس من الضرورة أن يكون الرجل حكيم البيت الذي يوازن الأمور، فربما كنت أنت أيّتها الزوجة من يدبر أمور البيت بحكمة وتوازن.

اعلمي أيتها الزوجة المباركة: أن الغيرة القاتلة باب واسع يؤدي بصاحبته إلى تفكك الأسرة، وهي من الأمور التي يبغضها الله ﷻ كما في حديث جَابِرِ بْنِ عَتِيكٍ رضي الله عنه أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم كَانَ يَقُولُ: **(مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُ اللَّهُ فَأَمَّا الَّتِي يُحِبُّهَا اللَّهُ فَالْغَيْرَةُ فِي الرِّيبَةِ وَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُبْغِضُهَا اللَّهُ فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رِيبَةٍ ...)**(1).

وقد نصح أبو الأسود رحمه الله ابنته فقال لها: "**إيّاك والغيرة فإنها مفتاح الطّلاق**، وعليك بالزينة، وأزين الزينة الكحل؛ وعليك بالطّيب، وأطيب الطّيب إسباغ الوضوء"(2)، فالبحث والتنقيب في هاتف زوجك وحاسوبه وأغراضه الشخصية؛ لتثبتي لنفسيتك (الشكاكة) أن سبب تغيره تجاهك هو خيانته لك، بينما الحقيقة والواقع أن سبب ذلك هو تقصيرك وعدم وجود الثقة بينكما التي هي المكون الرئيس للطمأنينة.

إياك أيتها الزوجة الفاضلة أن تنسي يومًا أنه **لا يوجد** منتصر أو مهزوم في الخلافات الزوجية؛ ولكن يوجد زوجان منتصران أو زوجان خاسران.

اعلمي أن الكلمة الطيبة تفعل في قلب الزوج الأعاجيب، فتكسر أقفال القلوب، وتذيب جبال الجليد بينك وبين زوجك، ولقد جعل الإسلام عدم شكر نعمة الزوج من الأمور المانعة لرحمة الله ﷻ كما في الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: **(لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى امْرَأَةٍ لَا تَشْكُرُ لِزَوْجِهَا وَهِيَ لَا تَسْتَغْنِي عَنْهُ)** (3). وإن عدم اعتراف الزوجة بأفضال زوجها سبب رئيس من أسباب الخلاف بين الزوجين، فكما ذكرنا أن الزوج كالطفل المدلل ترضيه الكلمة، وتسعده الابتسامة.

---

1 – **حسن**. أخرجه أبو داود في سننه (4/3) ح(2661).

2 – الدينوري/عيون الأخبار (76/4).

3 – **صحيح**. أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (193/4) ح(7337).

اعلمي أيتها الزوجة الفاضلة: أن محاولة تغيير شريك الحياة ومحاولة معالجة الخطأ المتكرر عنده، قبل أن يرى الزوج هذا التغيير عندك، ومترجم ترجمة عملية في حياتك، **لن يفيد**؛ لأن سنة الله في الخلق أن يبدأ الإنسان بنفسه أولًا، كما قال الله ﷻ: ﴿...إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ..﴿١١﴾﴾(1)..، لأن التعلم بالقدوة في مثل هذه الحالة هي أفضل صور التعليم.

احذري أيّتها الزوجة: أن تخوني زوجك ماليًّا ونفسيًّا، وأن تُلبسي أهلك وصديقاتك ثوب زور، وذلك بأن تشتري الهدية من مال زوجك ثم تدعي أن أباك أو أمك أو أخاك أو أختك أو صديقتك هي التي اشترت لك هذه الهدية؛ لنهي النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك كما في الحديث: (**المُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ**)(2).

احذري أيّتها الزوجة: أن تُفسدي علاقة زوجك بوالديه (ليخلو لك الجو)، فمهما صَفَت لك العلاقة معه (من وجهة نظرك)، إلا أن مآل الأمر سيكون سيئًا، لأنه سيشعر بنقص الأمان لغيابه عنهما، وتأنيب الضمير الداخلي (وإن لم يُظهر لك ذلك) وسيشعر بعدم الأمان تجاه امرأة حرمته من بر والديه. فما بالك لو أحللت أهلك كبديل عن أهله، وأنفقت أمواله على أهلك، وحرمت أهله من التمتع بماله، فاعلمي أنك قد جنيت على نفسك بيديك.

لذلك حريٌّ بكل عاقل وعاقلة أن يعيَ جيدًا أن حُسن بناء الأسرة المسلمة صغر حجمها أو كبر، هو من حُسن بناء الدولة الإسلامية بأكملها، لأن الأسرة هي اللبنة الأولى والأساسية في قيام الدولة الإسلامية؛ بل في قيام أيّ حضارة من الحضارات.

جعلني الله وإيّاكم لَبِنَات بناء في الخير، وصرف عنّا وعنكم أن نكون معاول هدم لأيّ بناء، وأدام الله السعادة والمودة والرحمة بيننا جميعًا.

---

1 – سورة الرعد: من الآية 11.

2 – أخرجه البخاري في صحيحه (36/7) ح(5219).

فَهْرَسُ المَصَادِرِ والمَرَاجِعِ

م	القرآن الكريم
1.	ابن أبي خيثمة/ التاريخ الكبير (تاريخ ابن أبي خيثمة).
2.	ابن أبي شيبة/ مصنف ابن أبي شيبة.
3.	ابن الأثير/أسد الغابة.
4.	ابن الجوزي/ تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير .
5.	ابن الملقن/التوضيح لشرح الجامع الصحيح.
6.	ابن حبان / صحيح ابن حبان.
7.	ابن حبان/ المجروحين.
8.	ابن حجر/ فتح الباري شرح صحيح البخاري.
9.	ابن حجر/الإصابة في تمييز الصحابة.
10.	ابن حجر/تهذيب التهذيب .
11.	ابن زنجويه/الأموال.
12.	ابن سعد/الطبقات الكبرى.
13.	ابن عابدين/رد المحتار على الدر المختار.
14.	ابن عبد البر/الاستيعاب في معرفة الأصحاب.
15.	ابن عبد البر/جامع بيان العلم وفضله.
16.	ابن كثير/ البداية والنهاية.
17.	ابن ماجه/ سنن ابن ماجه.
18.	ابن منظور لسان العرب.
19.	ابن هشام/ السيرة النبوية.
20.	أبو داود/ سنن أبي داود.
21.	أبو نعيم/ معرفة الصحابة.
22.	أبو نعيم/حلية الأولياء وطبقات الأصفياء.
23.	أحمد/ مسند الإمام أحمد.
24.	الألباني/ إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل.
25.	الألباني/ضعيف الترغيب والترهيب.
26.	الألباني/ السلسلة الضعيفة.

.27	الألباني/ رواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل.
.28	الألباني/ صحيح الجامع الصغير وزيادته.
.29	الألباني/ ضعيف الجامع الصغير وزيادته.
.30	البخاري/ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري).
.31	البخاري/التاريخ الكبير.
.32	البزار في مسنده (البحر الزخار).
.33	البهوتي/شرح منتهى الإرادات.
.34	البيهقي/ السنن الكبرى.
.35	البيهقي/ شعب الإيمان .
.36	الترمذي في سننه.
.37	الترمذي/ الجامع الصحيح (سنن الترمذي).
.38	الترمذي/مختصر الشمائل المحمدية.
.39	الجكني/كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري .
.40	الحاكم / المستدرك على الصحيحين
.41	الحلبي/السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون.
.42	الدهلوي/ لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح.
.43	السيوطي/ الجامع الصغير من حديث البشير النذير.
.44	حماد/ حقي أن أكون مهاجرًا.
.45	حماد/ صور من أكل مال اليتيم بالباطل.
.46	حماد/صور من هدي النبي صلى الله عليه وسلم مع أزواجه رضي الله عنهن.
.47	الخطابي/معالم السنن.
.48	الدينوري/المجالسة وجواهر العلم.
.49	الذهبي/سير أعلام النبلاء
.50	السخاوي/الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر.
.51	السهارنفوري/ بذل المجهود في حل سنن أبي داود.
.52	السيوطي/مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود.
.53	الصناعي/التنوير شرح الجامع الصغير.
.54	الطبراني /المعجم الكبير.

.55	الطبراني/ المعجم الأوسط.
.56	الطبري/ جامع البيان عن تأويل آي القرآن.
.57	عبد الرازق/ المصنف.
.58	القاري/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح.
.59	الكرماني/ الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري.
.60	الكشي/ المنتخب من مسند عبد بن حميد.
.61	الكلاعي/الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء .
.62	لاشين/ فتح المنعم شرح صحيح مسلم.
.63	المباركفوري/ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي.
.64	المباركفوري/ الرحيق المختوم.
.65	الميداني/مجمع الأمثال.
.66	محمد علي آدم/ ذخيرة العقبى في شرح المجتبى.
.67	مسلم/ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم).
.68	مصطفى وآخرون/ المعجم الوسيط.
.69	المناوي/ شرح الجامع الصغير .
.70	المنصورفوري/رحمة للعالمين.
.71	النسائي/ السنن الكبرى.
.72	النسائي/ المجتبى من السنن (سنن النسائي).
.73	النووي/المنهاج شرح صحيح مسلم.
.74	النووي/تهذيب الأسماء واللغات.
.75	الهرري/ الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج
.76	اليعمري/النفح الشذي شرح جامع الترمذي.
.77	موقع:https://aymanhd.com/ .
.78	موقع: https://ar.wikipedia.org/wiki .

السِّيرَةُ الذَّاتِيَّةُ



البيانات الأساسية :

الشيخ الدكتور/أيمن بن خميس بن عمر حماد .

الكنية : (أبو أنس).

مكان الميلاد : مدينة رفح– قطاع غزة – فلسطين.

تاريخ الميلاد : 1979/01/09م .

البلدة الأصلية : يبنا.

المؤهلات العلمية:

- حاصل على درجة **الدكتوراة في الشريعة والقانون – تخصص القضاء الشرعي** –من جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم – جمهورية السودان. والأطروحة موسومة بـ **(أحكام الميراث والوصية في قانون الأحوال الشخصية– في قطاع غزة)– (دراسة فقهية مقارنة)**، سنة 2020م.
- حاصل على درجة **الماجستير في القضاء الشرعي** من الجامعة الإسلامية – غزة – فلسطين. **بعنوان: (أحكام اليتيم المالية في الشريعة الإسلامية وتطبيقاتها في المحاكم الشرعية)**، سنة 2009م.
- حاصل على درجة **البكالوريوس** في الشريعة الإسلامية من الجامعة الإسلامية – غزة – فلسطين، سنة 2003م.

الخبرات والنشاطات:

- يعمل حاليًا **قاضيًا شرعيًا**.
- عمل محاضرًا جامعيًا (غير متفرغ).
- عمل مدرسًا للتربية الإسلامية في مدارس الوكالة على بند التشغيل المؤقت عام 2004م .
- عمل في جمعية دار الكتاب والسنة رفح.
- عمل مديرًا لجمعية دار الحكمة للتربية والثقافة والفنون – فرع رفح.
- عمل مديرًا لجمعية اقرأ الخيرية – فرع رفح.
- يعمل رئيسًا لفريق رحماء بينهم كالجسد الواحد التطوعي.
- اشتغل في الدعوة والوعظ منذ عام 1992م.
- حفظ القرآن الكريم في 1993/01/13م.
- حاصل على **السند المتصل** في القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية.
- شارك في العديد من المؤتمرات المحلية والدولية.

– ترأس العديد من الحملات الخيرية : (حملة انصروا رفح – حملة فطِّر صائمًا محتاجًا – حملة الوفاء للشهداء–حملة الحقيبة المدرسية – حملة رحماء بينهم كالجسد الواحد).

– أشغل جل وقته في تعليم العلم الشرعي ، ودرَّس المواد التالية: (العقيدة الإسلامية– فقه العبادات الطهارة والصلاة – الزكاة – الحج –العمرة–فقه العقوبات–السيرة النبوية– فن الدعوة وأصول الخطابة– علوم القرآن – مصطلح الحديث – مقاصد الشريعة– الميراث والوصية– قانون أصول المحاكمات الشرعية– قانون الأحوال الشخصية – قانون حقوق العائلة).

مؤلفات الشيخ الدكتور /

الكتب المطبوعة :–

مؤلفات الشيخ / الكتب المطبوعة :–

أ. سلسلة حقوق ضيعت:

1. **حقوق ضُيِّعت. (جزئين) (1–2).**
2. **حقي أن أكون مهاجرًا. (3)**
3. **صور من هدي النبي ﷺ مع أزواجه رضي الله عنهن. (4)**
4. **صور من سلوك الملعونين في سنة رسول الله ﷺ. (5)**
5. **حقي أن أستعيذ مما استعاذ منه النبي ﷺ. (6)**
6. **حقي أن يشفع لي القرآن. (7)**
7. **يا نساء المسلمين كن كأم سُليم رضي الله عنها. (8)**

ب. سلسلة مبادئ في علم الفرائض:

1. **مبادئ في علم الفرائض (المواريث) (1).**
2. **المسائل الملقبات في الميراث والتركات. (2)**
3. **حقائق وأرقام على ...عدالة تقسيم الميراث بين الأنام. (3)**
4. **أحكام الميراث والوصية في قانون الأحوال الشخصية. (4)**
5. **الميراث والوصية على مذهب السادة الحنفية. (5)**
6. **الوصية الواجبة بين النقد والتطبيق. (6)**

ت. سلسلة احذروا:

1. **أحكام اليتيم المالية في الشريعة الإسلامية. (1).**
2. **صور من أكل مال اليتيم بالباطل (كُتيب). (2)**
3. **أعجب من... ج1 + ج2 (كُتيب). (3)**

4. أحكام ووصية في ...التسوية بين الأولاد في العطية (كتيب). (4)

ث. سلسلة نحو وعي قضائي:

1. الدليل الإرشادي للتعاميم القضائية والإدارية فِي المحاكم الشرعية بقطاع غزة.
2. مبتدأ الكلام في إجراءات سير الدعوى وإعلام الأحكام.
3. مقتطفات من القرارات الاستئنافية في القضايا الشرعية.

ج. متفرقات:

21. الأزمة الأخلاقية داء العصر.
22. أرغب في ضمان الجنة.
23. أربعون كنزًا من كنوز السنة (كُتيب).
24. كلمات مضيئة من أقوال السلف الصالح (كُتيب).
25. محاضرات في العقيدة الإسلامية.
26. السيرة النبوية س.ج.
27. فقه الطهارة .
28. فن الدعوة وأصول الخطابة وزاد الخطيب.

كتب تحت الطباعة :-

مقتطفات من سيرة الشهيد الشيخ/ أنس أيمن حماد.

للاتصال والتواصل:

جوال /0597670671.

وطنية / 0567107100.

إيميل / abu-ans1979@hotmail.com.

فيس بوك / فضيلة الشيخ الدكتور/أيمن خميس حماد.

واتس أب: 00972597670671.

الموقع الالكتروني/ موقع فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الدُّكْتُور أَيْمَن خَمِيْس حَمَّاد http://aymanhd.com.

لَا تَنسَوْنِي وَأَهْلَ بَيْتِي وَالْمُسْلِمِينَ مِن دَعْوَةٍ صَالِحَةٍ فِي ظَهْرِ الْغَيْبِ


تم بحمد الله